في مديح الحماقة

هذه الترجمة الكاملة لكتاب
Desiderius Erasmus

The Praise Of Fally

ديسيدريوس إراسموس

في مديح الحماقة

ترجمــة / أماني سعيد
مراجعة / مصطفى حسان
الغــلاف / هنيبال ـ هيبو

سلسلة من كل بلد كتاب - كتاب من هولندا
الطبعة الأولى/ القاهرة ٢٠١٤

ISBN: 978 - 977 - 6133 - 50 - 1

وكالة سفنكس
٧ شارع معروف الدور السابع
وسط البلد – القاهرة
ت/ف: ٠٠٢ ٠٢ ٢٥٧٩٢٨٦٥
www.sphinxagency.com
info@sphinxagency.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر، ويحظر نشر أو اقتباس هذا العمل أو أي جزء منه بأي وسيلة تصويرية أو إليكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات دون إذن كتابي من الناشر، ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية
2014 © Sphinx Agency

This book was published with the support of the Dutch Foundation for Literature.

ديسيدريوس إرسموس

في مديح الحماقة

ترجمة / أماني سعيد

وكـالـة سـفـنـكس

في مديح الحماقة

ديساريوس اراسيوس إلى صديقه "توماس موري"

المقدمة

عندما كنت عائداً من ايطاليا إلى بريطانيا لم أكن لأضيع كل هذا الوقت، بل كان يجب عليَّ أن أمتطي حصان أفكاري بطريقة الجهلة والحمقى، لقد اخترت حينها أن أناقش مع نفسي شيئاً من دراستنا المألوفة، وأن أتمتع بتذكر أصدقائي الذين لم أتعلم منهم سوى السعادة، ومنهم أنت يا عزيزي "موري".

لقد خطرت على بالي أولاً، على الرغم من عدمٍ وجودك معي إلا أنك أسعدتني، فدائماً ما أجد في صحبتك مالم أجده في صحبة غيرك، إني أجد في صحبتك السعادة، ولهذا فأنا سعيد أن هناك شيئاً يحدث، وأن هذا الوقت كان أنسب وقت لما أريده.

لقد أردت أن أمدح الحماقة. "ولكن من الأحمق الذي أشار عليك بهذا؟" هذا ماستقوله !

أولاً: اسمك يا "موري" الذي يشبه كلمة moriae أي الحماقة، وعلى الرغم من أنك بعيد كل البعد عن هذه الصفة والجميع يعرف هذا.

ثانياً: إنني أستغل هذا الذكاء الذي لا ينال القبول أبداً حتى منك، فمن هو مثلك لا يسعد بهذا المديح حتى غير المتعلمين، وإذا لم أكن مخطيئاً، وبشكل عام، فإن حياتك تمثل الجانب الديمقراطي، لذا فإن عدلك قد ساد الناس، وحيث إنك متواضع تسعد كل الناس.

أعلم أنك لن تعجب بكلامي عن الحماقة، وربما تتحداني، لكني أحاكي الكوميديا القديمة، عليَّ أن أثبت أنهم من أتوا بالفكاهة في النقاش، فأكون لست أول من صنع هذا.

ويستخدم مؤلفون آخرون هذا الأسلوب، فقد كانت الفكاهة من قديم الأزل كالصراع بين القط والفأر، وكما فعل "فارجل" في كتابه (البعوضة والبودنج)، وكما فعل "أوفيد" في كتابه (جوز الهند) عندما كان يتهكم عن الحكم الاستبدادي والظلم، وكذلك فعل كثيرون غيرهم لا أعلم آخرهم، لذا فإذا سمحوا لي سأفعل

مثلهم.

إنه من الظلم أن نعطي لكل جانب من حياتنا ردة فعل، وهذه الدراسة يجب ألا يمتلكها أحد، خاصة إذا كانت لا تحمل معنى الجدية، وأتناوله بشكل فكاهي حتى لا يمل القارىء، ويحصل على فائدة منها أكثر من الدراسات الجادة الطويلة عن مدح الفلسفة مديحاً استنكارياً أو الأمراء، ويحضهم على محاربة الأتراك، أو بتصويره دمار العالم بعد وفاتك أيها الأمير، وآخر يسلك مسلكه؛ ولكن بأساليب مختلفة.

إنه لا يوجد ما هو أكثر روعة من أن نمثل الحماقة برجل يتعمد الأفعال التافهة.

ومن جانبي دع الآخرين يذكرون رأيهم فيما كتبت، وإنني أرى أن مدح الحماقة ليس من التفاهة.

إن الحرية منحت لعقول الكل ليتعاملوا من أخطاء البشر بذكاء.

إنك ستقابل رجل دين، وبعد فترة ستراه يسخر من المسيح، وربما الأمراء أيضاً، خاصة ما يخص أرباحهم المتزايدة، ويتهم البشر ويسخر منهم، وفي نفس الوقت يقول أنه على الإنسان أن يرى عيوبه، ويصلحها، فكيف هذا إذا كان هو أول من

لا يرى عيوب نفسه؟!

لقد تحدث "سينت جورمن" عن هذه الحرية بجرأة، وبذكر بعض الأسماء. لكنٍ عليَّ أن أتجنب هذا، لقد استخدمت أسلوباً يفهمني به المتعلمون والمثقفون، فيعرفون متى يكون الكلام جاداً ومتى يكون سخرية.

والآن إذا كان هناك من هو غير راضي عن أسلوبي دعه، فقط يتذكر أنه من غير المشرف ألا يعترض على الحماقة، وإن كل إنسان يدافع عن أفكاره؛ حتى وإن كان مخطئاً.

وداعاً عزيزي: "موري" دافع عن حماقاتك بقوة.

من الريف في الخامس من يونيو.

في مديح الحماقة

على لسان الحماقة

كم يتحدث الناس عنِي بالسوء؛ حتى من هم أكثر الناس حماقةً، لكن أنا هي من توذيٍ كل الناس، حتى الآلهة، وإني أجادل مجادلةً جادة .

لازلت أبتدء كلامي بشيء من النهج لكن وجوهكم قد بدت تتغير بشكل يظهر عدم الرغبة في حديثي إلاّ أنني إن سألتك هل نظفت حاجبك؟ ستضحك، فهكذا الفكاهة تخرج الناس من همومها مهما كانت سخيفة، فأنت جالس بشكلٍ جدي كأنك قد أتيت من القداس حالاً، ثم تضحك، فكأن الشمس قد ظهرت، ونسيم الربيع قد هلَّ، وكأن الشباب قد عاد، ولذا فإنك تقلدني في دعاباتي، وكذلك يفعل البلغاء بعد المشاكل، والمتاعب، والعناء ليخرجوا أنفسهم من جو التعب لجو المرح.

وربما تسألني لماذا أظهر في هذا الثوب الغريب؟

فهذا السؤال يسعدني، وسأخبرك، فإنك تذهب للكنيسة لكن خارجها تسب المشعوذ والمهرج .

فقد ترددت أن أقدم لكم الحنكة دون أن أذكر أمثلتها التي نعاصرها، فكم يتحير عقل الشباب بالتفاهات، والأشياء الهامشية التي لا يتعلمون منها سوى العناد، وعليَّ أن أذكر القدماء الذين أطالوا السفسطة في مدح الآلهة والفرسان الشجعان، ولهذا فإني لا أمدح "هرقل" وأمثاله، لكني أمدح نفسي

فأنا الحماقة أمدح نفسي وما أفضل من أن تمدح الحماقة نفسها، وبأسلوب وقح، فأنا على، الرغم من أني أعرف نفسي جيداَ، أمدحها فأنا أفضل من النبلاء والأمراء الذين يبدون الخجل المتصنع عندما يمدحهم العامة، على الرغِم من أنهم قد يذكرون محاسنهم عمداَ للإفتخار، وكأنهم طاووس يفرش ريشه ليراه الآخرون، ثم يقولون أنهم مقسطون، ولهذا أراهم كذبابة على ظهر الخيل

لذا فسأتبع القول القديم "من لا يملك صاحباً يمدحه فليمدح نفسه"، فأنا لم يمدحني أحد أبداً على مدى العصور، ولم يذكر أحد كرمي ولم يعرف قدري أحد.

وبعد هذا الأسلوب البليغ لن أدع أحداً يسألني من أنا، ولن أعرف نفسي، فأنا التي

تبيح كل الأفعال والأقوال، فإن اليونانين يسموني "moria" وبالإنجليزية "folly"، فإن لم يكن مظهري يصور جوهري فلن أعرف نفسي أكثر من هذا.

فلن يخطىء أحد ويدعوني بالحكمة، فمن أول نظرة تستطيع أن تعرف أنه قد أخطأ، فإن مظهري لا يخدع أحداً، ولست أريد أن أخدع أحداً فأنا أفتخر بنفسي، ولا أبالي فيما يقوله الناس عني، فإني أعلم حقيقتهم جيداً، وأعلم أنهم يسخرون مني ثم يفعلون ما أفعل، وأنا لا احترم هؤلاء الذين يضللون الناس بالعناوين البراقة، والمظاهر الكاذبة، وكلام الحكماء، ويمشون بين الناس متفاخرين متباهين بأنفسهم، وعلى الرغم منٍ هذا فإن حقيقتهم ستكشف للناس يوماً، ولن تطول غطرستهم، وما أقبح من الذين ينكرون الجميل، ويظهرون للناس أنهم الفضلاء، فأنا أدعوهم بالحمقى الحكماء.

إنك لن تكون مخطئاً إن قلد بلغاء عصرك الذين يضعون أنفسهم موضع الإله، ويؤمنون بمعتقدات متناقضة، ويرون أنهم يفعلون أفعالاً عظيمة، إلا أن الحقيقة أنهم يتطرقون إلى أزيال المواضيع، ويتركون

لب الموضوع، وإذا لم تساعدهم الكلمات أخذوا ينهلون عليك بالأمثلة، وذكر أسماء العظماء ليخدعوك، ويلفتون ذهنك عن لب الموضوع، ومن الغريب أن من يفهم طريقتهم يحبهم أكثر ممن لا يفهم، ويستطيعون خداع الناس بالابتسامات المتتالية، ويعتقدون أنهم أذكى من غيرهم.

ولكن لأدخل في لب الموضوع عليَّ أن أذكر اسمي فأنا الحماقة أو الوقاحة، وهذا أفضل اسم لي فقد سماني به الله، لأني أخدع الناس، ولكني سأحاول أن أبذل قصارى جهدي لأغير المعنى الراسخ في أذهان الناس عني.

وعلى الرغم من أن الناس تحدد الأشياء من حيث الجدية والهزلية إلا أنني أشارك الأشياء كلها، فأشارك الفن والقانون، والعدالة، والحرية والديموقراطية، باختصار، أنا أتحكم بكل أفعال البشر، جادة كانت، أم تافهة.

وبدون مساعدة أحد سأتناول حياة الرب، والعظماء، والمشهورين، وأمثالهم، وكأنك تراهم في بيوتهم، وسأذكر حياة الفقير أيضاً، فإني أعظم إله اليونان "جابيتر"، لكني سأحكي لكم عن حياته،

وعن زوجته، فلقد كان ثرياً ذا مظهر سيىء إلا أنه يدعي الشباب من أجل الحوريات الجميلات .

وأنا لا أحب "بلاك سميز" الذي يضع روابط مزعجة للزواج، ولا تسيء فهمي، إنه لم يكن هذا الأعمى "بلوتث" في رواية أرسطو، فلقد كان في عز قواه وغرور الشباب يملئه، ولقد كان يأكل بشراهة في الولائم والمناسبات.

إن مكان ميلادي الذي يعتبره الناس نقطة اعتزاز وفخر لم يكن كما كان في أي من مسرحيات الفكاهة الحزينة كالـ "البحر المتموج"، و"الكهف الأعمى"، بل إن مكان مولدي هو "جزيرة الحظ"، حيث ينبت كل شيء دون بذور، ولم يعرف هذا المكان الأمراض ولا العجز أبداً، ولا ينمو هناك البصل، والفول، والفجل، والثوم، ومثل هذه الأشياء؛ بل تنمو حشائش الميك، والورود والبنفسج، والتفاح، والعنب، والفاكهة اللذينة، والزهور ذات الرائحة الجميلة، والمنظر الخلاب، وتنمو هناك الحدائق الفسيحة التي تسعد العيوب، وتشرح الصدور والقلوب.

وعندما تكبر في مثل هذا المكان الرائع

البديع لا تكون طفولتك كطفولة الأطفال الآخرين مليئة بالبكاء، والصراخ، والعويل، والحرمان؛ بل طفولتك في جزيرة الحظ طفولة سعيدة، حيث تملىء الإبتسامة شفاهك وشفاة أمك، وكل من حولك، فقد أرضعتني حور، وأما عن أصحابي وأصدقائي، فإذا فكرت قليلاً ستعرف من هم فإني أراك إنساناً حكيماً.

إن أصحابي هم الإبتسامة، وحب النفس، والتملق، والرياء، والسعادة والفخر، والعجب، وهؤلاء هم من يساعدونني في السيطرة على العالم لأشيد امبراطورية أكون أنا زعيمها وقائدها، لذا فهل تملك صحبة كصحبتي وأصدقاء كأصدقائي؟ وهل عشت في مكان كالمكان الذي عشت فيه وتربيت فيه؟ وهل تعلمت كما تعلمت أنا؟

والآن أشعر أنك ستعترض على لفظ امبراطورية، ولكن هذا أمر طبيعي حيث إنك لا تعلم إلى أي حد تمتد سلطتي، فكما يساعد الله البشر أنا أيضاً أساعدهم، فإذا كان الله يعطيك الطعام، والشراب، والصحة، والملل، والجمال، والزوجة، والأولاد، وقبل كل هذا ما هو أعظم من هذا بكثير ألا وهو الحياة، إلا أنك لن تشعر بحلاوة كل هذه

الأشياء، إلا في وجودي.

فمثلاً إذا أراد أحد الحكماء الإنجاب فسيحتاج لي، ربما إنك تتعجب، ولكن قل أي رجل حكيم يخضع لزوجته إلا إذا استعان بي؟ وأي امرأة تفكر في الزواج والإنجاب مع علمها بخطورتهما والمسؤلية المصاحبة لهما، وما سيقع على عاتقها من أمور هي في غنى عنها من تربية الأطفال، والاعتناء بهم، وتعليمهم، والاهتمام بأمور بيتها وزوجها؟ لذا فإن من تفكر في الزواج مع علمها بهذا فلابد أن تكون قد أصابها شيء من الجنون أليس كذلك؟ فإذا جربت هذا فهل يعقل أن تفعله مرة ثانية؟! فإن فعلت فهذه هي الحماقة.

وبعيداً عن كل هذا فإن الفلسفة التي يستخدمها الكهنة والرهبان هي نوع من الحماقة، فهل منكم من يرى غير ذلك؟ ولكني أرى أن هذا أمر هين،فهل ترى أنه يوجد أمر متعلق بالسعادة ليس لي فيه باع؟!

إنه لايوجد من لا تمر حياته بأوقات حزن وغضب وقلق، إلا أن السعادة تأتي من حين لآخر وهذه هي الحماقة.

ويؤكد هذا قول "سفكلس" الشهير: "إن

السعادة هي ألا تعلم شيئاً"، وقد تكون هناك نظريات كثيرة إلا أن الناس يفضلون أن يجربوا بأنفسهم.

من الذي لا يعلم أن الطفولة هي أسعد أيام الحياة لك، ولمن حولك؟ فما الذي يدعونا لأن نتقبل الأطفال، ونعانقهم، ونلاعبهم، ونهتم بهم حتى وإن كنا لا نحبهم، ما الذي يدفعنا لهذا سوى الحماقة !

فهذه هي الطفولة، أما الشباب فينقصه الخبرة التي تجعل الإنسان يحسن استغلال العمر، وحين تأتي الخبرة تعطيك حسن التمييز، والتفكير، والتدبير، كما أن الجمال لا يذبل وتزيد السعادة، ثم تكبر، ويزيد همك، فتصبح مكروهاً من الكل، فهم لا يطلقون عليها الطفولة الثانية إلا أنني لن أحزن حين أمر بهذه المرحلة، لأني إن عشتها عند جداول ومنابع الماء في جزيرة الحظ التي سبق وأن أوضحت لك جمال الطفولة فيها، فلن أشعر بالكبر هناك، ولن أشعر بالعجز، فإنك بمجرد أن تشرب من مياهها سيغفر الله لك ذنوبك، ويشفيك من جميع الأمراض، ويعود إليك الشباب، لكنك ربما تتهمني بالتخريف

أعلم أن الظروف لن تساعك على أن

تكون سعيداً كما كنت صغيراً؛ لكن من ذا الذي لاينظر للطفل على أنه معجزة إذا كان من الحكمة كالرجال الكبار، كما يقول البعض "أنا لا أحب الطفل الذي يكبر بسرعة"، فهذا هو الطفل الذي يصادق الكبار، فيكتسب من خبراتهم، ومعرفتهم، وحكمتهم، ومنطقهم، ولهذا فإني أرى أن العجز شيئاً خرافياً لايحدث أبداً، لكني لا أستطيع استثناء المخرفين من هؤلاء الذين يظهرون الحكمة، وما هو إلا صغير لا يدرك أعباء الحياة، ومشاكلها الكافية التي تمنعك عما تريد.

وعليك أن تعلم أن كبير السن يسعده وجود الأطفال كما يسعده وجود الكبار، وأنا أرى أنه لا فرق بين الطفل وكبير السن، فعلى الرغم من نعومة جسد الأطفال، وبريق أسنانهم الذي يقابله تجاعيد الكبار، وأفواههم الفارغة، إلا أن كلاهما ضعيف مع أن أحدهم يبدأ حياته، والآخر ينهيها.

وبعض الناس يظنون أن شبابهم دائم سرمدي، ولا يعلمون أن من ينهكون عقولهم بكثرة التفكير، هم أول من يهرمون قبل الأوان بسبب تفكيرهم المتواصل، مما يجعل شبابهم يذبل كالجذر الذي يجف في

التربة.

أما الحمقى الذين لا يبالون بشيء، ولا يحملون الهموم ترى أجسادهم ممتلئة بطونهم كبيرة كالخنازير، ولا يشعرون بالعجز، إلا أنه ربما يحدث لهم هذا، ولكن نادراً، حين تصيبهم عدوى الحكمة والتفكير، فتصبح السعادة شيئاً نادراً، وهذا ما يؤكد القول الذي يقول: "إن الحماقة هي الشيء الوحيد الذي يساعد على استمرار الصحة، والشباب، وبالتالي السعادة مما يبعدك عن العجز" وآخر يقول: "إن العمر يتخلى عن الحكماء فيجعلهم حمقى عظماء".

ومن النادر في أي شعب أن ترى الحديث الفكاهي شائع، والشعور بالشيخوخة نادر.

ودعني أذكرك ببعض الكتاب الذين يحسنون استخدام الحماقة مثل "فينوس" و"أورساوس"، و"سيرسيس"، وغيرهم لكني أعلم أنهم لن يستطيعوا أن يحسنوا إستغلالها بدوني، فأنا الوحيد الذي يصنع العصير الذي يعطي الشباب كما فعل مع فينوس ليتزوج الشابة الجميلة، وأنا الوحيد الذي يستطيع أن يجعلك تحافظ على شبابك الذي يرغب الناس في استمراره،

فلا شيء أفضل من الشباب، ولا أغلى من العمر.

إني لن أتعب نفسي في الحديث عن الأخلاق، بل انظر حولك لترى الباشا السكران ذا الشعر الكثيف الذي يقضي عمره في الشرب، والرقص، واللهو، واللعب، وربما أيضا القمار، ولا يشارك أبداً في المجتمع، ولايبالي بمن يعيشون حوله، إنه لا يهتم إلا بنفسه ولا يسعد إلا نفسه، لايريد أن يكون حكيماً ولا واعظاً، بل إن كل ما يسعده هو الشرب والقمار وهذا أقصى ما يفعل. وبالطبع هو لا يصدق القول الذي يقول: "لا يوجد من هو أكثر حماقة من الباشا" الذي تغير اسمه هذه الأيام لـ "البيه"، لذا قد تراه أمام معبده سكرانا لحد الثمالة، حتى أن بعض الناس يقولون له: "ياليتك لم تولد، فأنت لا تستحق الحياة".

وإن أشهر ما يفعله الباشا بعد السكر الدائم هو أن يتزوج من شابة صغيرة تسبق عمره بثلاثين أو عشرين عاماً، ويتباهى بها، وبجمالها أمام الناس، ثم أنه لايحترم أحداً صغيراً كان أم كبيراً حتى أصدقائه لا يحترمهم، ولا يعطي كل ذي حق حقه، ولا

يقدر الناس منازلها، ولا تراه رزيناً أبداً، ودائماً يضحك على الرغم من أن شكله مضحك.

وكذلك تصوير إله الحب بالولد شيء مضحك، وفينوس الذهبية التي كان لون شعرها كلون شعر أبي.

ومن المضحك أيضاً حال الرومان الذين يعشقون الدين أكثر من "فلورا" ملكة السعادة.

فإذا أردت الحياة فتجنب الحزانى والنكدين، أما الدعابة والشعراء ستجدهم أمثلة للحماقة.

وعليَّ أن أعرف، لماذا يكون حب "جبتر" إله اليونان متذبذب؟ فإذا أردت أن تعرف فأنظر لـ "ديانا" التي كانت مستعدة للموت من أجل حبيبها، أو أن تسمع هذا من "ماموس" وصحبته الذين حين تشاجروا على تقسيم الأنصبة هاجوا وسبوا الإله.

فهؤلاء الحمقى لا توقف الحقيقة سعادتهم، ولا يمنعهم الواقع عن فعل ما يريدون. إن أحلامهم بلا ميناء.

عليّ أن أعترف، إنهم لايريدون الكثير، لكن تملقهم للأمراء لن يجعلهم يأخذون

شيئاً، بل هم كالغنم مع الذئب، وهنا تلعب الحماقة دوراً كبيراً مع الحرية (إنهم يفعلون كل شيء ولكن بلا حرص) كما يقول الأب "هامر"، أي أنهم لا يريدون أن ينصحهم أحد أو يعلق على أفعالهم أحد. إنهم لا يتبعون سوى هواهم وكذلك الأمراء من قديم الزمان، ما نوع الخداع الذي يجعل شخص كـ "مراكي" لا يعاقب على سرقاته، وما القانون الذي إن حاسب "فولكان" يجعله غير مذنب إلا أنها الحماقة، فهو يتلون وكذلك فعل العجوز "سيليز" مع الراقصة.

وماذا يمكن أن أقول عن الآلهة اليونانية؟ خاصة، حين يسكرون فيسمعون الأغاني الصاخبة، فأنا حينها وحين أتذكر أفعالهم لا أستطيع أن أتوقف عن الضحك وبالأخص إن تذكرت ونظرت فلا تجد من حولك إلا الحماقة. وهكذا تجدوني مع الملوك والأمراء والحكماء ولن تجد شخصاً إلا وأنا أصاحبه في بعض الأحيان أو كل الوقت.

إن تعريف "ستوك" للحكمة هو (تحكيم العقل) أما الحماقة التي هي نبض الكلمة فهي (تحكيم المشاعر)، ولا يستطيع إنسان أن يكون حكيماً وأحمقاً في نفس

الوقت، أي أنه لا يمكن تحكيم العقل والقلب في نفس الوقت وكذلك لا يمكن تجاهل الاثنين.

إن الحقيقة هي أن المشاعر أفضل من العقل، ولذا خلق الله العقل في جزء صغير من الجسم وترك الباقي كله للمشاعر ويتحكم القلب فيهما معاً، وبالتالي فإن المشاعر هي المصدر الأساسي للحياة بل هي قلب الحياة والشهوة، هي التي تمتد سلطتها في كل مكان. ولذا فهي سلاح ذو حدين، فتلك العملة متعددة الأوجه يجب أن تصحبها الأمانة والأخلاق وهكذا نستطيع أن نترك لها زمام الحكم، ولأننا ولدنا في عالم العمل فإن العقل هو الذي يتحكم في أغلبنا وهذا ليس سيئاً، بل هو أمر محمود في بعض الأوقات.

لقد احتار "بلاتو" في وصف المرأة وتعريفها هل هي مخلوق له عقل يفكر أم هي كالبهيمة، إنه لا يقصد الاستهزاء بالمرأة أو بالجنس لكنه يفكر بحكمة أكثر من الباقين، ولذا فهو يرى أن النساء يجيدون الحماقة لذا فهو يسميهم (البقر الراقص)، فهو يراها كالدب الغبي الذي يقتل صاحبه، أو كما يقول المثل اليوناني (إن القرد هو

القرد)، وكذا فإن المرأة هي المرأة، أي أنها حمقاء مهما تزينت ووضعت المساحيق والروائح الجذابة، ولا أريد أن يغضب مني أحد فأنا امرأة وأعلم هذا جيداً. ولتعلم النساء أنهن محظوظات بكونهن جميلات. هذا الجمال الذي أعطى لهن دون سبب وهن يهتمن به أكثر من أي شيء ويستطيعن بفضله أن يمارسن الظلم حتى على أكثر الناس ظلماً، وبدون هذا الجمال يكن قبيحات وجلدهن سيخشن كالرجل العجوز، ولكن مما يزعج الحكماء أن وجه النساء ناعم، وكذا صوتها وجلدها وكأن شبابها لا يزول .

إن أكثر ما تتمناه النساء أن يسعدن الرجال، ومن أجل هذا تتزين، وتلبسن أفضل اللباس، وتضعن أروع العطور، وتضعن على وجوهها كل ما من شأنه أن يجعلها تبدو في أبهى وأجمل منظر مما يزيد من جاذبيتها وأناقتها.

ثم أخبرني ما الذى تقدمه النساء للرجال سوى تلك الحماقات! ثم لاتسمح له بفعل شيء، إذاً لما فعلت كل هذا؟ ومع ذلك فإن الرجل يسعد بهذا. ولن يعارضني أحد إن قلت ما أغرب ما يحدث بين الرجل

وامرأته؟ كأن الله أعطاه العقل ليجعله يغفل أحياناً.

ودعني أذكر لك أكثر ما يسعد الرجل: أن بعض الشباب يسعدون في وجود أصدقائهم إلا أن سعادة الرجل الحقيقية في وجود المرأة، حيث إنني أثق أنه لا توجد سعادة إلا في وجود الحماقة، لذا تراهم معاً يضحكون بسبب، أو بدون سبب ويستعيرون التملق دون سبب، ويأكلون كثيراً جوعاً وشبعاً وجبات خفيفة وأخرى دسمة، وحينها يمتلكون روح الدعابة والضحك، وأنا أفضل طاهي لهذا، فكل أعيادنا كعيد اختيار الملك وجلوسه على العرش ومثل هذه الأعياد أنا من وضعها ليسعد البشرية، ولم يضعها أحد الحكماء. إن الطبيعة وجميع المخلوقات إن لم تشعر بالسعادة لا تشعر بمعنى الحياة، ولن تستطيع العيش فالسعادة هي ما يزيل الألم، ويشفي الأمراض، ويزيل الهموم، لكن ربما يوجد من يتجاهل سعادة وجود النساء، ويكتفي بسعادته في وجود أصحابه وأصدقائه، ويجعل الصداقة أكثر متطلبات الحياة أهمية، أكثر من الماء والهواء، بل ويضعها موضع الشمس،

ولكن ماذا لو رأيت أني الموجد والمنهي

لهذه السعادة أيضاً؟ ولن أضرب الأمثال بل سأشير لك مجرد إشارة. أخبرني ماذا إن قبلت حبيبة صديقك أليس هذا من الحماقة؟! وإذا انتقضت أفعاله، أو سخرت منه، أليس هذا ما يحدث بين الأصدقاء؟!

إنني أتحدث عن العامة حيث أن الأمراء والملوك لا أصدقاء لهم .

إن الصداقة تحتاج إلى تبادل المشاعر الطيبة والمعاملة الحسنة، ولا يكون هذا من طرف واحد بلٍ من كلا الطرفين، وهذا ما لا يحدث فدائماً ما يوجد من يوبخ الآخر ويهزء به، ثم يدعي أنه صديقه! .

وأخيراً، فإن لكثر ما يسعد الإنسان أن يكون ما يريد، فلا يخجل من طريقة تفكيره، أو من عقليته، ولا من بيته، ولا أهله، ولا شكله، ولا من سلوكياته، ولا من بلده، ولا أي شيء من الواقع الذي يعيشه .

أي أن الهندي لا يريد أن يكون ايطالياً ولا الأمريكي يريد أن يكون بريطانياً، فمع تنوع الأشياء إلا إن كلها سواء .

فإن عطايا الطبيعة تختلف وهي التي تعطيك حبك لنفسك، وعليّ أن أعترف أني أتحدث بحماقة لكن هذه الحماقة هي أفضل عطاياها، حيث لا يوجد أمر عظيم

كان أم تافه لا تدخل فيه الحماقة، ولا يحدث أي عمل دون مشاركتي.

أليست حرب التجارة هي أساس كل شركة معروفة؟ وما أحمق من أن يعلم الطرفان أنه سيخسر في هذه الصفقة ومع هذا يستمر فيها! .

ودعني أتحدث عن رجاحة العقل، فإن كانت رجاحة العقل تعتمد على الخبرة لذا فإن الرجل الحكيم الذي لم يحاول أن يفعل شيئاَ ليس لديه رجاحة عقل، لأنه منعزل عن الناس ولا يحاول أن يشارك الناس حياتهم، أما الأحمق الذي لا يبالي بشيء ولا يوجد ما يمنعه عن فعل ما يريد ويحاول ويجرب يصبح أعلم بالحياة وأدرى بالأمور من هذا الحكيم الذي لا يريد أن ينال شرف المحاولة، ولذا فمن يراهم الناس حمقى هم أكثر تعقل وأكثر رجاحة عقل من هؤلاء الحكماء العاجزين عن الأفعال. إن الرجل الحكيم العاكف على قرآءة الكتب لا يأخذ سوى الكلمات، أما الأحمق الذي يغامر في الحياة إذا لم يخطىء فهذا هو الذكاء الحقيقي وهذه هي رجاحة العقل، فعلى الرغم من أنه أهوج إلا أنه قادر على الأفعال، وكما يقول البعض (إن الطفل

المحروق قد يخاف النار) لأنه مع حماقته إلا أنه حاول فعل شيء.

ولكن إن أردت أن تسمي رجاحة العقل هي الأخذ بالأشياء المحكوم عليها من قبل الغير فهذا ما يكون بعيد كل البعد عن رجاحة العقل.

والدليل على هذا أن بعض ما يتركه الناس ولا يفعلونه لأنه قبيح يكون سبب نجاح الآخرين وتميزهم، وهذا المعنى تأكده قصيدة (الطريق الذي لم يسلكه أحد)، وفيها يصور الشاعر حيرته حين أراد الوصول لهدف يصل إليه كل الناس بطريقة واحدة على الرغم من أن هناك طرق أخرى تؤدى إليه، فلماذا لا يسلك هو هذا الطريق الجديد؟ ربما يكون أفضل مما يسلكه الناس، وربما يكون أسوء فكيف يعرف دون أن يحاول؟؟ إن ما يبدو ظاهره الهلاك ربما يكون هو النجاة فإذا أقتربت منه عرفت أنه السعادة، ولكن من بعيد كيف تصلٍ للحقيقة؟ وربما ترى شيئاَ جميلاَ براقاً لامعاً تحوطه الأنظار من شدة جماله فإذا أقتربت رأيت الواقع المعاكس للصورة الظاهرية، ولكن ماذا إن صدقت الناس في الحكم عليه من بعيد دون أن ترى بنفسك؟!

حينها سيكون حكمك على الأشياء خاطئ، وهذا ما يفعله معظم الناس في تقليد حكم الغير على الأشياء دون تجربة، وهذا ما أراه ليس مجرد حماقة بل هو أقبح من الحماقة، فمن يفعل هذا كالغنم التى تسير خلف الراعي لا تعرف لأين ولا لماذا.

فقد ترى أغنى الناس في ثياب بالية فتحكم عليه بالفقر وربما هو يفعل هذا تواضعاً لله، وترى في الحياة كثيرا من المغمورين يستحقون المدح، ومشهورين يستحقون الذم، وترى من يمسك كتاب ولا يفهم شيء وآخر تقسم أنه لا يجيد القراءة وهو أفقه من أرسطو، والأمثلة على هذا كثيرة، فكم تجد الحقير شريفاً، والوضيع غنياً، والمتعلم جاهلاً، وكما يقول الفيلسوف أن (متبلد الذهن) هو من لا ينال شرف المحاولة؛ ولكن من يملك عقل عظيم دائم التفكير، فهذا هو الحكيم.

إن الذي له عقل عظيم دائم التفكير لا يملك إلا القليل وهو أفقر الناس لأنه ترك عقله للحكمة، ومن المؤسف أنه يستبعد نفسه عن الحمقى. وقد يسألني أحد لماذا؟ فصبراً سأوضح لك وجهة نظري، إنك إن شاهدت ممثل على المسرح يقدم شخصية ما

تخالف شخصيته الحقيقية وأنت تعلم ذلك جيداً لكنك تصدقه وتتأثر به وهكذا الحكماء؟ فما أكثر الذين يتلونون ويجيدون اقتباس الشخصيات المختلفة والأدوار المتعددة من الطيبٍ للشرير ومن الملك للحقير. وترى شاباً يلعب دور امرأة وفتاة تجسد دور شاب ولكنك إذا اكتشفت هذا تفسد الأمر، وهذا الخداع هو الذي يبهر المشاهد، وكما قال الكاتب العظيم شكسبير: "وما الحياة إلا مسرح كبير" ترى الطيب شرير والظالم مظلوم والكل يرسم على وجهه ما يشاء ويستطيع أن يكون النقيضين في آن واحد .

ومن هنا، إذا كان أي رجل حكيم يبكي من عظم خلق الله، أما الوحش الذي هو عبد لغرائزه وشهواته؛ وإذا كان يملك الإرادة والعزيمة لمنعته عن الإنقياد لشهواته ومنعته عن الأفعال السيئة، وهكذا قد ترى إنسان ينوح على وفاة أبيه إلا أنه سعيد لأنه ورث بيته وأصبح له بيت ملكه، وترى من يفتخر بعائلته؛ ولكنه لا ينجب، وتلك العائلة التي يفتخر بها لا أخلاق لها ولا مبادىء ولا شرف لها فما هو أقبح من الوقاحة إلا الحكمة المفقودة، لذا فلا شيء

ينصح به إلا التفكير المستمر، وهذا ما لا يتماشى مع عصرنا الحالي فهو كالثياب القديمة، فإذا كنت لا تبالي بما يحدث في العالم فهذه هي الحماقة، ولا يوجد من ينكر هذا فعليك أن تكون جزءاً من المجتمع الذي تعيش فيه.

هل عليَّ أن أتكلم أم أمسك عليّ لساني؟ ولماذا يجب عليّ الصمت في شيء أصدق من الحقيقة.

إن الشعراء يدعون الناس من حين لآخر لأفعال وقحة، كما تفعل "بنت جبتر" إله اليونان، إنه لا يوجد ما يهدد السعادة سوى الحكمة، إنه من المتفق عليه أن مشاعرنا تكون نوع من الحماقة عندما نحكم على رجل حكيم أنه أحمق، فهو من يحكمه العقل والتفكير الدائم الذي يجلب المرض والمشاعر ليست حديث المعلمين، فهي لا تمتد للحكمة بصلة إلا أنها تحفز على سوء الأفعال والأقوال، وهذا ما ينكره العالم "ستوك" فهو يرى أن الرجل الحكيم نوع منفرد من البشر فهو يراه كالملاك أو الإله المعصوم، وبصراحة إن هذا الرجل الحكيم له مظهر غريب وقلب متحجر يتجنب كل المشاعر، والغريب أن البشر يفضلونه

ويستمتعون بأفعاله وبصحبته ويحبونه ويعيشون معه في دولة الأفكار كما في كتب بلاتو الشهيرة.

لقد مات إحساس الإنسان بالطبيعة، وأصبح كالصخرة المتحجرة المشاعر، ويعتبر نفسه بلا أخطاء؛ لكنه يملك الشعور والإحساس، وعنده شعور خاطىء تجاه الآخرين، فهو يقيس الأمور على خط مستقيم، ولا يسامح أحد. إنه يشعر أنه هو الذي يسعد نفسه، هو الحكيم الوحيد والغني الوحيد والملك الوحيد، لا يبحث عن صديق، إنه يرى أنه هو كل شيء، ولا يهتم بأي شخص، ويسخر من أفعالنا كلها، وهذا الوحشيّ هو من يسميه الناس بالرجل الحكيم. ولكن يمكن أن تخبرني أي المدن سيحكمها هذا الحكيم؟ وأي الجيوش سيقود؟ ومن التي تقبل الزواج منه؟ ومنٍ يريد صداقته؟ ومن يٍقبل أنٍ يكون خادماً له؟ إنه لا يملك نوعاً واحداً من الحماقة؛ بل يملك كل أنواع الحماقة. وليس هذا فقط؛ بل كم هو يأس ليقول: "إننا لا نستحق أن نولد، فكم أن الطفولة مؤلمة! وكم أن التعليم صعب! وكم أن الشباب مؤلم! وكم أن العجز مهين! وكم هو محزن أن تموت!

فكم مرة هاجمتنا الأمراض؟ وكم مرة تعترضنا المشاكل؟ وكم مرة يقابل الإنسان الفقر والخيانة والعجز والعار والخداع؟ فتلك الأشياء يمر بها الإنسان في حياته عدد رمال البحر"، فهو يرى أنه لا يوجد سبب ليتحمل الإنسان كل هذه الأشياء، ولما يلوم الإنسان قدرته أو عجزه على الرغم من أنه لا يحب الحياة. فلماذا يجاورون الحكماء الذين يفضلون الموت عن الحياة في وجود المشاكل المزمنة يأساً منهم في حلها؟! فماذا يحدث للعالم إذا أصبح الرجال كلهم مثل هذا الحكيم؟!

إن الحكمة شيء مهم؛ لكن قد أمدح الجهل قليلا، فإن الناس مع سوء حالهم وحظهم لا يتمنون الموت؛ ولكن الحياة هي التي تتركهم وتتخلى عنهم ليموتوا. إن العقل يقول أنه عليهم ألا يعشقوا الحياة إلا أن الواقع أنهم يرغبون فيها، كأنهم لا يشعرون بمتاعب الحياة. فكم من كبار السن ذوي شعر رمادي، وبلا أسنان، بل وقد تخرف عقولهم أحياناً إلا أنهم كما يقول أرسطو: "عجوز بلا أسنان يريد اللعب"، قد يكون الاستمتاع بالحياة في الصغر أكثر إلا أن الكبار يتمسكون بالحياة، فيلونون

شعرهم ويركبون أسناناً، وقد يحب رجلٍ عجوز شابة صغيرة، وما أكثر أن ترى عجوزاً تضع الروائح والمساحيق على وجهها لتبدو جميلة، وترقص، وتغني، بل وتكتب خطابات غرامية.

إنهم يستمتعون بأيامهم ويسعدون أنفسهم ويفرحون ويمرحون ويسبحون في السعادة، فلما تبدو تلك الأشياء تافهة؟ إن تلك الأشياء تمثل أهمية كبيرة عندهم، وهم يتجاهلون كل من يقول أنها حماقات.

يرى الحكماء أنه إن سقط على رأسك حجر فهذا شر، أما الخيانة والعار فلا تكون هكذا مادام أن المخدوع لم يعرف الحقيقة.

إن الفلاسفة يقولون: إن من الحماقة أن تعرف الصواب، ثم تفعل الخطأ؛ لكنّي أرى أن هذا هو ما يفعله كل البشر فلماذا يرون هذا سيئاً؟

إن الإنسان لم يخلقه الله ملاكاً بجناحين، ولا وحشاً يمشي على أربع، ولهذا السببٍ قد يرى الإنسان أن الحصان ليس محظوظاً، لأنه لا يعرف قواعد اللغة، ولا يستطيع طهي الكعك، ولا يرتاح كثيراً، لكن الأخلاق قد تقول أن العلوم أضافت لمعرفة الإنسان، إن العلوم تساعد الإنسان إلا أنها تؤذي

أحياناً، وكيف يقولون أنهم أول من اكتشفها على الرغم من أنها وردت في تاريخ القدماء، إن العلم قد غير العالم؛ ولكننا نخاف منه على الرغم من أن العصر الذي عرف فيه سمى العصر الذهبي، ويسبقه عصور الطبيعة التي لم يستخدم فيها الناس قواعد اللغة، ولكنهم تحدثوا نفس اللغة، فلماذا نستخدم القواعد إذاً؟ ولماذا نستخدم المنطق؟ ولماذا نضع للكلمات معاني مزدوجة؟ ولماذا نضع القوانين إذا كانت لا توجد جرائم أو سلوكيات خاطئة؟

ولماذا القانون إذا كانت الجرائم غير موجودة، وكذلك لا توجد سلوكيات خاطئة، تلك السلوكيات التي لا شك أن القانون يأتي من أجلها، إلى جانب أنهم أكثر تديناً من كونهم باحثين في أعماق الطبيعة وحركة النجوم والفلك والأسباب الخفية وراء الأشياء، ولأنهم يؤمنون أنها جريمة أن تحاول أن تكون حكيماً أو تبحث فيما وراء الظواهر فإنه من الجنون أن تبحث في مثل هذه الأشياء. ومن هنا يأتي جمال العصر الذهبي الذي جعل الناس تبدو في طبقات مختلفة. أولاً: كما ذكرت إن من اخترع الفن هو الشر، وقليل من البشر يصدق هذا. ثم

بعد ذلك تأتي الخرافات والشعوذة اليونانية التي لم تضيف شيئاً إلى العلماء، إلا أنها أصبحت المحير الأساسي والمعذب للحكمة، وعلى الرغم من هذا إلا أنه من العلماء من يقدّر المعنى العام والحس العام، ومنهم من يستحق أن تضحك عليه كعلماء المنطق والفلسفة، أما علماء الفيزياء فيستحقون الاحترام والتقدير، ومما يزيدك دهشة أن الأمراء والملوك لا يسعدون بصحبة علماء الفيزياء، وإنما يسعدون بصحبة الفلاسفة وعلماء المنطق الذين لايفعلون شيئاً سوى تملق الأمراء والملوك؛ لذا لا يستحقون إلا لقب صفيق، بينما علماء الفيزياء الذين يستحقون في الحقيقة كل تقدير واحترام لا ينالون سوى الاستهزاء والاستنكار بعلمهم.

وفي الطبقة الثانية يأتي رجال القانون وواضعو القانون الذين يسخر منهم الكثيرون، ولن تجد عملاً عظيماً كان أو حقيراً إلا ويتحكم فيه رجال القانون سواء كانت صفقات كبيرة أو صغيرة، ومن يدير تلك الصفقات هم الشياطون أنفسهم ويسيطرون على كل شيء.

إن الفن هو أقرب الأشياء صلة بالحماقة؛ لذا فإن الحماقة تسعد حين يختلط العلم مع

التجارة فيسوء استخدام العلم، وهنا تسعد الحماقة لأنها تكسر كل العوائق التي كانت تحجب التجارة عن التدخل في العلم.

في الحقيقة إن الطبيعة تكره الأشياء المصطنعة والفن هو علم التصنع والتَّلون.

ألم تقابل شخصاً قط لا يفكر إلا في الطبيعة؟ فهو يحب الفراشات ويرى أنه لا يوجد ما هو أحلى منها، ويحكم على الأشياء بطريقة مختلفة عن الطريقة التي يحكم بها الناس على الأمور، فهو يرى أن المهندس المعماري لا يضيف شيئاً في بناء البيوت، فلقد كنا نبني البيوت من قبل أن نعرف فن العمارة فما الجديد؟ وما الذي يقدمه الفيلسوف؟ وهو يرى أنه يوجد شبه كبير بين الحصان والإنسان، فالحصان يشارك الإنسان مأساته، وهو يرى أيضاً أنه من العار أن تخسر السباق، إن الحصان كثيراً ما يسابق الريح، وإذا كان في معركة وقارب على النصر يبطئ الحصان سرعته بناءاً على رغبته ورغبة الفارس، ويحاول أن ينتقم من العدو.

وما هي حياة الطيور؟ إنها كحياة الحشرات، حيث إن الإنسان هو الذي يتحكم بهم، فقد يمسك بهم ويضعهم في قفص، ومع كل

هذا إلا أنني أحترم الطبيعة أكثر من الفن المبتذل.

وبأسلوب مماثل لا أستطيع أن أمدح الذي يعيش في مكان قذر، وهو يملك كل شيء سواءً أكان فيلسوف، أم أمير أم ملك، رجل كان أم إمرأة، سمكة أم حصان، على الرغم من أنه لا يوجد مخلوق يستحق الذكر سوى الإنسان، لأن باقي المخلوقات تحجزها عوائق الطبيعة، ولا يوجد سوى الإنسان هو الذي منحه الله ما يجعله قادراً على تحدي العوائق، ومع ذلك فهو يترك الذكاء ويفضل الحماقة ويفضل الكذب الذى ينجي عن الصدق الذي يرى فيه هلاكه.

ولم تكن الفكاهة فقط هي أصل التفاهة، باستثنائي، حيث إني أرى أن كل الناس الحزينة تصاحبهم الهموم والكوارث، حيث إنه في أغلب الأحيان يكون المثال الأساسي للحكمة هو الحزن والكآبة واليأس، ولكن لماذا أسأل الله أن يرزقني صديق مرح يكون الضحك صاحبه الملازم له ويجيد حرفته الضحك أي أنه حكيم - ليست الحكمة المعروفة - ولكنه حكيماً في استخدام ما وراء الطبيعة، وهناك بشر أقل سعادة من

غيرهم وذلك لأنهم يدرسون الحكمة، وهؤلاء حقاً هم الحمقى لأنهم يبدون بشكل محزن ويَائس؛ وكأنهم واقفون أمام وحش، ولا يحاولون الفرار، ولا حتى التعرف على ماهية هذا الوحش أو كيفية التعامل معه، أو التخلص منه ولا حتى يحاولون مواجهته.

أقسم لك أن الأجيال الحالية ترى سعادتها في الحماقة التي تبدو لك سخيفة وسيئة، لكن الحقيقة هي أنه لا يوجد أصدق من الحماقة.

أولاً: إن من يتميزون بمصاحبة الحماقة وتأثيرها بشكل كبير في حياتهم لا يخافون أي شيء حتى الموت، ولا يعانون من ألم الضمير وعذابه إذا فعلوا أفعال شر، إنهم أيضاً لا يخافون العفاريت والأرواح ولا الأشباح، إنهم لا يخافون الشر نفسه ولا يرونه عائقاً أمام مستقبلهم، باختصار، إنهم لا يهتمون كغيرهم من آلاف الذين يهتمون بأهداف الحياة وترتيب الأولويات، إنهم لا يطمحون ولا يحسدون.

وأخيراً، إذا قاربوا أي أفعال جهل لا يخطئون، والآن أخبرني أيها الحكيم الأحمق ما عدد المشاكل التي تواجهها وتعاني منها؟

إن الحقيقة هي أن كل حياتك مشاكل، إنك تتعذب كثيراً وتفكر كثيراً أليس كذلك؟ أما الأحمق يرى الحياة بسعادة، يرقص ويغني ويضحك إنه سعيد بل ويسعد كل من يقابله أو يقترب منه في أي مكان وفي أي وقت، وكأن الله خلقهم ليكونوا نبع البهجة وروح الحياة .

وحيث إن العالم يؤثر كله في بعض، فأنت ترى صديقين مختلفين في الطباع إلا أنهم يتشاركون في جميع المناسبات دون شجار ولا خلاف ودون أن يؤذي بعضهم البعض. ولذا نجد الملوك والأمراء يحبون مجالس الحمقى، ولا يستطيعون الأكل ولا الشرب ولا الذهاب إلى أي مكان إلا في وجودهم، ويفضلون هؤلاء الحمقى عن الحكماء، وإني أرى السبب معقداً جداً وغريباً.

فلماذا يفضل الناس صحبة الحمقى عن صحبة الحكماء؟

ربما لأن الحكماء حين يجالسون الأمراء والملوك لا يتحدثون إلا عن الموت والوعظ والأمور الجادة، أما الحمقى فيسعدون من يجالسهم بالضحك والمزاح والنكت والاستهزاء بالغير وكل ما من شأنه أن يسعدهم.

ثانياً: لاحظ أن الطبيعة لم تعط للحماقة سوى الحقارة، ومع ذلك فإن الحمقى أكثر الناس صراحة وصدقاً في الحديث، وكما ذكرنا ذلك لأنهم لا يخافون ولذا فهم لا يقولون إلا الحقيقة؟ وتجد "بلاتو" يقول: "إن الصدق يخرج من أفواه الأطفال والسكارى"، وبالطبع فإن كلاهم من أعواني - أنا الحماقة - لذا فإن هذا المدح يرجع لي. وفي التوراة تجد القول بأن "الحمقى يقولون أشياء سيئة"، وذلك لأن الأحمق يخرج ما في قلبه في أفعاله دون أي رقابة من العقل، وينعكس إحساسه على أفعاله وتعبيراته ومظهره الخارجي، ومن ثم ينطق به في حديثه مباشرة ودون تجملٍ في الحديث، أما حديث الحكماء فدائماً ما يحمل معنيين، فهم يخافون، وهذا الخوف يجعلهم يجملون الكلام ويزينونه، فهم لا يقولون الحقيقة بوضوح لأن كلامهم رمادي لا هو أبيض ولا أسود، أما الحمقى فكلامهم إما أسود وإما أبيض فهم لا يتلونون. فالحكماء يستطيعون أن يكونوا متحاملين عليك ومتملقين لك في آن واحد، فإذا كان هناك خلاف تراهم يستخدمون كلمات ذات معنى مزدوج، ومن هنا يتعذب الأمراء

حيث لا يجدون في الحكماء من يخبرهم عن الحقيقة بل يتملقونهم وكذلك يفعلون مع أصدقائهم.

لكن ربما تجد شخصاً يقول: إن آذان الأمراء لا تحب الحقيقة ولذا يتجنبها الحكماء، ومن ثم يخافون ذكر الحقيقة التي يملك غيرهم الجرئة على ذكرها. وهنا تجد الحمقى ملوك الصراحة حيث أنهم يستطيعون ذكر الحقائق بطريقة تألفها آذان وقلوب الأمراء والملوك بل وتسعدهم، ولذا فهم لا يخافون إبداء الصراحة، وهذا ما ستلمسه حقاً في معاشرة الحمقى، أما الحكيم إذا قال نفس الأمر لكانت جريمة كبيرة، حيث إن الحمقى يملكون القدرة على جعل الصراحة تسعد من يسمعها، فلا يحدث ما يستدعي اللوم، ولهذا خلق الله الحماقة وخلق المرأة، فإن هذا ما تفعله مع الرجل، ولا تفعل غير ذلك، ربما تكون المرأة أحياناً جادة إلا أنها تفضل استخدام الدعاية والفكاهة في أغلب الوقت، وهكذا تتلون وتتغير كثيراً لتخفي أخطائها.

ولنعود للحديث عن السعادة التي يسببها وجود الحمقى، الذين حين يمرون في حياتنا وهم سعداء ولا يخافون الموت، ولا يشغل

بالهم شيئاً، ولا يبالون بأي شيء يزعجهم، أو قد يعكر صفو حياتهم فالبطبع هم يسعدون حياة كل من يقابلهم، ودعنا نقارن بينهم وبين حياة الحكماء، فالحكيم قد قضى حياته في التعليم والتجارب والمشاهدة والمراقبة ولذا فإنه لا يملك وقت لإسعاد الناس، فهو دائماً حزيناً وفقيراً يعاني من المشاكل ومن كراهية الآخرين له، ويبدو كأنه رجل مسن، على الرغم من صغر سنه، فهو يرتدي نظارة حيث إن كثرة القراءة والإطلاع قد أثرت على نظره، ولذا تجده سيموت ولكن دون أن ينعم بالحياة قط، وهذه هي حياة الحكماء. والآن أريدك أن تجيب على هذا السؤال.

أي الحياتين تفضل الحكماء أم الحمقى؟

س: هل الحمقى يفكرون؟

إنه لا يوجد أسوأ من الجنون، لكن الحماقة تأتي بعد الجنون في المرتبة الثانية، فما أسوأ أن يترك الإنسان التفكير! ولكن هناك جنون من نوع مختلف، إن الحمقى يفكرون ولكن بطريقة مختلفة عن الطريقة التي يفكر بها الحكماء. إن الحمقى يفكرون كيف يسعدون الناس، إنهم لا يشغلون أنفسهم بوضع القوانين، وتنظيم المرور،

ولا قوانين الرياضيات والعلوم، وتجنب التفكير في العلوم ليس جنوناً ولا يأساً فإن المحبين يفكرون في إسعاد أحبابهم لا العالم كله وهذا ليس جنوناً.

وهناك نوعان من الجنون والنوع الأول: يؤدي إلى الموت، ومن أوضح الأمثلة على هذا النوع الحب الغير مشروع، كحب من لا يسمح لك الدين بزواجه، وهنا يشعر المرء باليأس وكأنه وقف أمام حائط سد، وهذا من المؤكد يؤدي إلى الجنون، وكان أحد اليونانيين لما أصابه هذا النوع يظل في المسرح ليل نهار، يصفق تصفيق متواصل، وكأنه يرى ممثلين يمثلون أمامه، على الرغم من أنه لا يوجد أحد.

وترى آخر يضحك ويمزح ويسعد زوجته، ويحسن معاملة خادمه إلا أنه يجن جنونه إذا كسر أحد زجاجته، ولكن إذا أصلح أحد الأمر فإنه سريعاً ما يعود لطبيعته، وإني أرى "لأن تقتلني خيراً لي من أن أعيش دون سعادة". فإني أحب السعادة جداً ولن أتركها بإرادتي أبداً، وكن على ثقة أني أعتقد أن هؤلاء مجانين، ولا يستطيع أحد أن ينكر جنون من يطلب من الحمار القراءة، فهو كشحاذ يقنع نفسه أنه ملك، وهذا

النوع من الجنون يحدث كثيراً ولكنه حين يحدث يجعل الناس سعداء، ولكن دون أن ينتقل إليهم هذا الجنون، ولا شك في أن الأفعال التي دعت لهذا الضحك حماقة منتشرة في العالم كله، ولا أرى أحد الحكماء إلا ويمر في حياته بلحظات جنون.

وتوجد طبقة في المجتمع تجد سعادتها في صيد البط، وأريد أن أطرح عليك سؤالاً: ما الذي يسعد في صيد البط؟ إني أراه جنوناً، إن الإنسان العادي من الطبقة الفقيرة إذا اصطاد ثعلباً وليس بطاً لأصبح وكأنه قد ارتكب جريمة، فهو فى نظر العلماء يضر بالتوازن البيئى وخاصة اذا كان هذا في محمية طبيعية، أما الأثرياء فلا بأس أن يخرج مرتدي قبعة ويصطاد ما يشاء، والإنسان العادي إذا حمل سكيناً، وذهب لاصطياد البط من الغابات لأصبحت جريمة، أما الأثرياء فلا بأس. فالغني يصطاد على الرحب والسعة، ويقابل بكل إحترام، وكأنه يؤدي الشعائر الدينية المعتاد رؤيتها، فالإنسان العادي حين يصطاد البط من الغابة وحش لا يفهم كيف يتعامل مع الطبيعة البرية، أما الغني والأمير فهو يمارس هواية يجب علينا احترامها.

وترى رجلاً يسكن في بيت على شكل دائرة إلا أنه على تمام الإقتناع أنه على شكل مربع؛ بل وإنه لا يعلم طوله ولا عرضه، فمثل هذا يعتبر البيت مكاناً للنومٍ ليس أكثر، فهؤلاء يستغرقون وقتاً قليلاً لإشباع رغباتهم. وأني أرى أنه ربما يكون هناك قصور رائعة بأشكالها الجديدة المتميزة لدرجة تجعلك لا تعرف ما هذا.

فهؤلاء الرجال لا يتأقلمون مع ما يفعلون، وربما لا يكونون سعداء، إلا أنهم يشجعون غيرهم على أن يكونوا سعداء، ويدعون أنهم سعداء، ويتمنون السعادة لغيرهم، وعندما تفشل محاولاتهم يقولون "في فعل الأشياء العظيمة يكفينا شرف المحاولة"، بل وأنهم يشتكون من قصر الحياة فيرون أنها غير كافية لفعل ما يريدون وتحقيق الأشياء العظيمة، إنهم لا يستطيعون سماع خطوات الرقص؛ لكن قلوبهم ترقص، ويمر الوقت ويتمنون الفوز، إنهم يحاولون النجاة ليصلوا إلى الشط.

ولا شك أن هذا النوع من الرجل يفضلون رواية قصصٍ وحكايات كاذبة، وربما تكون طويلة جداً، وكلما طالت كلما تلفت الأسماع، وهذا لا يضيع الوقت بل ربما

يجلب الربح خاصة إذا كان بين أعداد كبيرة.

وبعد ذلك لن يشعروا بالحماقة بل بالسعادة، ولا يريدون أن تنتهي القصة، ويريدون أن يخرج البطل سليماً، ويعود لبلده حاملاً النصر، ثم يصير من الأثرياء، فيراه الناس عظيماً، فيجلبون له الهدايا، ويقسمون أنه كالأمراء، وهؤلاء لا يمكن حصر عيوبهم، فهم يرتكبون العيوب طوال عمرهم، فكل سنة وشهر ويوم وساعة ولحظة من حياتهم لا تخلوا من العيوب والأخطاء.

وماذا تقول في من يثق بالسحر والسحرة، ويهب لهم وقته، وماله، وثروته، وسعادته، وصحته، وربحه، ثم تجد المسيح عنده في المرتبة الثانية بعد السحر؟

ودعني أفترض لك أن هناك بعض الجنود أو الحكام أو بعض التجار الذين حصلوا على المال بطريقة غير مشروعة، ويخدعون الناس أن حياتهم نظيفة بلا فساد، ولا رشوى، فمن أقبح من هؤلاء ومن أسعد منهم؟ إنهم يقرأون كل يوم السبع أيات التي كتبها المشعوذون ولا يجدون هذا غريباً.

إنهم قد يلاقوا استحسان بعض الناس حتى رجال الدين، وهذا النوع تجده منتشرا في جميع أنحاء العالم وفي كل البلاد، وكلهم

على نفس النهج في التفكير وأسلوب الحياة، إلا أن المشعوذين يستخدمون ألفاظاً مختلفة تختلف باختلاف الطلب المراد تحقيقه فللإنجاب ألفاظ، وللصداع ألفاظ أخرى، ومن الصعب أن تحصي كل هذه الألفاظ.

وما الذي يطلبونه سوى أن يجربوا الحماقة، هل فهمت شيئاً أبداً من شخص لا يستخدم الحماقة أبداً؟ فمن ضحى بالعربة وحافظ على الحصان، أو من يصادق اللصوص، ومن هرب من السجن، كل هؤلاء حافظوا على مقاعدهم بفضل الحماقة. إلا أنهم لا يقدرون لها هذا ولا يشكرونها.

كم هي جميلة كل الأفعال البعيدة عن الحكمة! ولذا فإن الناس لا يفضلون الحكمة بل يفضلون الحماقة، ولذا لا يحاربون الحماقة.

لكن لماذا أبحر في محيط الخرافات؟ إني لا أملك مئات الألسنة بل لساناً واحداً، وليس صوتي قوياً بل ضعيفاً، لذا فلا أستطيع ذكر كل أنواع الحماقة، ولا كل أسمائها، ولكن أعلم أن صدرك يشتاق لمعرفتهم وكأنه أمر مربح، إن أي صديق حكيم تجده يقول: "إن الحياة هي الطريق الوحيد للموت"، ويقول: "إن أفضل

الطرق للتخلص من الذنوب والأخطاء هي البكاء والصلاة والصوم والدعاء والتقرب للرب بإصلاح الحياة والمجتمع كله" وهذا ما يقوله الحكماء للناس، ولكن هل يمكنك أن تحصي المشاكل والصعوبات التي تقابلها حين تسعى لتحقيق هذا؟

وهذا هو نهج كل من تجد حياتهم محدودة، فلا يجد من يبكي عليه حين موته، ولن يجد من يدعو له، ولذا فإن جسمانهم لا تحمل بشكل مشرف لهم، بل تلاقي كل الإهمال.

هل من الحماقة التحدث عن الأصل والعائلة؟

على الرغم من أني على عجلة من أمري، ولا أملك الوقت الكثير إلا أنني لا أستطيع أن أترك ذكر هؤلاء الحمقى، فهم يمثلون نوع مختلف ومتميز.

إنهم يصدمون أنفسهم كثيراً، ويطلقون على أنفسهم النبلاء ذو الأصل الشريف العريق، ويذكرون هذا بسبب وبدون سبب، وفي كل المناسبات تجدهم يذكرون كم أن أصلهم عريق وأجدادهم وأسلافهم من عائلة عريقة، وتجدهم يبدأون بالجد ثم جد أبيه إلى آخر العائلة في حديث طويل لا

ينتهي، وبترتيب ممل لمجرد التباهي بالعائلة، إنهم حقاً أكبر مثال في التفاهة.

إنهم لا يتحدثون عن أنفسهم ماذا صنعوا ماذا قدموا لبلدهم، أو ماهي إنجازاتهم في الحياة الحقيقية، فإنهم لا يملكون أياً من هذه الانجازات، لذا يلصقون أنفسهم بالأصول والعائلات حيث إن كل ما فعلوه أنهم جاءوا إلى الحياة ليجدوا ثروات طائلة دون جهد، وكل ما يفعلونه هو تبديد هذه الثروات فيما لا يستحق الإنفاق عليه، وهؤلاء وسيلتهم الوحيدة للسعادة هي حب الذات، لقد عشنا في عصر من العصور مع أُناس لايخلو حديثهم من ذكر "أنا من عائلة.... باشا ابن.... باشا"، وإذا سألته ماذا تعمل فتكون الإجابة "لماذا أعمل؟.. العمل للفقراء"، ألا ترى أن هذه حماقة!.

وماذا تقول عن هؤلاء الذين يحبون أنفسهم أكثر من أي أحد، فحب الذات عند هؤلاء هو منبع السعادة لهم، فقد تجد أحد أصدقائك يرى أنه أجمل الرجال، وآخر يرى أنه أذكى رجل في العالم، وآخر لا يفهم في الموسيقى أكثر مما يفهم حصاني، وصوته أسوء من صوت الحمار، ويرى أنه أعظم مغني وأفضل ملحن، والأعجب من هذا

أن تجد من يصدقهم فيما يدعون عن أنفسهم وكأنه يصدق نفسه.

ولماذا لا أذكرك بسيد الفن؟

إنه "حب الذات"، وعند بعض الناس هو شيء طبيعي في شخصياتهم ويشاركون بأرائهم الحمقى كثيراً .

إن الممثلين والشعراء الذين يقدمون أدوار الجهل، يسعدون أنفسهم مثل الشفاة التي تلمع على الرغم من أن الحماقة تخرج منهما، فمعظم الرجال يخضعون للحماقة، ولذا كلما كان الرجل أكثر حماقة كلما أسعد نفسه أكثر، وكلما زاد إعجاب الناس له، أما الحقيقة ستكلفه العناء وستجلب له المشاكل ولا تسعد إلا القليل.

حماقة الشعوب

الآن عليك أن تعرف أن الطبيعة تؤثر على كل الناس إلا أنه من النادر أن تجد شعباً في مدينة في أي جزء من العالم لا ينتشر فيه حب الذات، ومن أمثلة هؤلاء الشعوب الشعب الإنجليزي. إنهم يمدحون أنفسهم بحب الموسيقى والجمال في جميع المناسبات والأعياد، والكل يفخر بشرفه وبولائه للملك.

أما الشعب الفرنسي فيرى أنه شعب

ناضج في أسلوبه وحياته، والشعب الفارسي لا يبالي بأحد، ويرى أنه الأفضل على الأطلاق، إنهم متغطرسين. ثم تجد الشعب الإيطالي الذي يدعي أنه سيد الرسائل والخطابات والفاكس. والشعب اليوناني يدعي أنه مؤلف العلوم وكل النظريات، على الرغم من أنهم أقدم من وجودهم على الأرض .

ومن المضحك أن اليهود لا يعتقدون في مجيء المسيح، والشعب اليوناني يفخر بمهارته في استخدام السحر.

التملق نوع من الحماقة

وكما أن حب الذات مرض فإن شبيهه هو "التملق"، فمريض حب الذات يمدح نفسه ومريض التملق يمدح غيره، وكلاهما لا يستحق المدح. وربما في هذا الوقت قد يعتقد البعض أن التملق غير منتشر بل إن الحقيقة أنه منتشر بالكلام والأفعال، وتجد الكلام أكثر شيوعاً، فترى من يمدحك ولكن أفعاله لا تظهر هذا. وبفضل التملق تستطيع إقناع أي شخص بأي أمر، فهو كالسحر يؤثر على الأذهان فيشل التفكير ويسحر العقول ويخضعها لما تريد، ولذا تجده أكثر ما يكون عند الأمراء والملوك،

ولكنه يحتاج إلى لباقة في الحديث، وذكاء في استخدام الألفاظ لتجعل الكذب صدق والقبيح جميل.

ومن ثم فإن التملق ينعش حياة الأغنياء، ويشفي المريض، ويساعد في ترابط المتحابين، واستمرار حبهم، ويساعد على تشجيع الأطفال على التعليم، ويجعل العجوز المسن في قوة الشاب القوي .

وهنا وتحت أضواء المديح يحق لك أن تخبر الأمراء بأخطائهم، وإخبارهم بأفضل الطرق لإصلاح المجتمع، وإصلاح ما أفسدته عيوبهم، باختصار تستطيع أن تجعل كل إنسان يتقبل شخصيته بما فيها من عيوب، وهذه أهم فوائد التملق.

وثانياً: ما الذي يجعل فرس يصطدم بآخر دون أن ينشب بينهم شجاراً إلا التملق، لذا فإن "سعادة المجتمع كله" في التملق.

وهنا يسيء الناس فهمي، فالكثير يظن أن سعادته في وجود شيء بعينه، وهذا خطأ لأن السعادة تختلف باختلاف آراء الناس، ونظرياتهم في الحياة.

فما أجمل تنوع علاقات البشر حيث لا يتضح الكثير منها، وكما يقول الدارسون:

"قليل من الفلاسفة يستطيعون استغلال سعادة الحياة كلها".

إن عقل الإنسان خلق ليستوعب الأشياء المزيفة أكثر من الحقائق.

فدعني أريك مشهداً في الكنيسة وأثناء تلاوة الشعائر تجد الكثير ينام أو يفكر في أمر غير مهم، أما عندما تتلو قصة تجد الأذهان مستيقظة معك في تركيز تام ولنلت حسن الإنصات والاستماع، وكذلك إذا كان هناك أي شاعر يتلو قصة غريبة يقابل بإنصات واحترام وطاعة أكثر من المسيح في عصره حين قابله قومه بالإعراض.

من أين تأتي السعادة؟

والآن ما أرخص ثمن هذه السعادة، إن السعادة لا تأتي من الأشياء بل إن الإنسان هو الذي يستدعيها من داخله، فمثلاً حين تتذكر شيئاً جميلاً يسعدك هل السبب هو الشيء أم لأنك جلبته من ذاكرتك، وعندما يكون هناك رجل يأكل سمكاً صغير الحجم إلا أنه من داخله على قناعة بأنه يأكل سمكاً كبيراً لذيذ الطعم، فما الذي يمنعه من السعادة، وبالعكس إذا كان هناك من يجلس على مائدة بها كل ما لذ وطاب لكنه لا يراها كافية، هل يشعر بالسعادة على الرغم

من وجود الأشياء التي تسبب السعادة؟

إذا كان هناك رجل زوجته قبيحة إلا أنه يراها أجمل الجميلات، فما الفرق إذا كانت في الحقيقة جميلة مادام أنه يراها جميلة من وجهة نظره؟

وإني أعلم أن شخصاً أعطى لزوجته مجموعة من المقتنيات على أنها من الذهب وأنها ثمينة وقيمة، فحافظت عليها، وسعدت بها سعادة بالغة على الرغم من أنها ليست من الذهب؟ وعلى الرغم من أن الزوج قد احتفظ بماله إلا أن حماقة الزوجة قد سببت لهما السعادة.

لذا فإن للحماقة الفضل في إسعاد الناس دون أي تكلفة بل بمجرد الإقتناع، وهنا لا مجال للحكمة حيث إني أقنع من أريد بما أريد دون أن يكون له أي صلة بالحقيقة أو الواقع الملموس، ومن ثم فإن السعادة ليست في وجود شيء أو غياب آخر بل إن السعادة في الرضا.

إن السعادة أن تشعر أنك لا تحتاج لشيء على الرغم من فقرك، فإن وصلت لهذا الشعور ملكت العالم كله، وصرت أسعد السعداء، فالقنوع من يرى أنه لا يحتاج لأحد ولا لأي شيء على الرغم من

أن الناس يرونه في أشد الحاجة.

هل يمكن أن نبني للحماقة معبد؟

عندما تمدح الملوك والأمراء والأثرياء تنام عقولهم، وهنا يصيرون كالجمل الذي يميل لك لتركبه ثم تسير به حيثما شئت، ولكن ما الفائدة التي تصلك من أن عقولهم تسعد بهذا التملق الذي يجعلهم كالسكارى، ودون أدنى جهد جعلتني أسيطر على كل البشر، وكأني الخمرة اللذيذة التيٍ تسكر العقول، وتعطي لشاربها مذاقاً جيداً.

إنني أنا الحماقة يتذوق حلاوتي الجميع، ولكن لا يوجد من يقدس الحماقة ويحترمها، ولا يوجد من يبني للحماقة معبداً تعظيماً لها.

ولا عجب في هذا فنكران الجميل من صفات البشر، وإني أقابل هذا بصدر رحب، فلماذا أحتاج لأي شيء إذا كان البشر كلهم يحتاجون إليَّ؟

إن البشر يعانقونني في أذهانهم، ويعبّرون عني في أفعالهم وسلوكهم، ويقدمونني بشكل جيد في حياتهم. فكم عدد الذين يشعلون الشموع للعذراء مريم؟ وكم عدد الذين يسيرون عليٍ نهجي؟ فلماذا أحتاج لأن يبنى لي معبداً؟.

ولن أحتاج المديح إلا إذا انعدم من يتبعني، ولن أحتاج لتخليد صورتي لأني أملك الكثير ممن يشيرون إليَّ بأفعالهم.

ولماذا أحارب الآلهة إذا كان اتباعهم يسيرون على نهجي، وطالما أن العالم يؤدي شعائري كل يوم.

إذا ظن أحد أن حديثي بعيداً عن الواقع، ويخالف الحقيقة، فدعنا نرى حياة البشر، إنها الفيصل لتعرف كم أنهم يدينون لي بالكثير. لن نتطرق لحياة كل البشر فهذا سيستغرق الكثير بل كفى أن نذكر قليلاً من العظماء دون ذكر الباقين.

فبالحديث عن الحياة العامة ستجد أنواعاً كثيرة من الحماقة التي تزيد أنواعها كل يوم نوعاً جديداً، إن الديمقراطيين هم الذين يستحقون أن تضحك عليهم، كما أنهم يضحكون على أنفسهم، إنه من الغريب أنهم يستغرقون وقتاً كبيراً في اللهو والتسلية، ثم يقضون الليل في العمل والدعاء، ولكن عندما يشعرون أنهم عاجزين عن حل أمر مهم يفوضون الأمر للرب الذي يعلم الخير أكثر من الشر.

حماقة الحب

إنك ترى رجل يغرق في حب ميئوس

منه. فهو يحب فتاة صغيرة؛ وكلما تجاهلته غرق في حبها أكثر وأكثر، وترى آخر تزوج امرأة لا من أجلها ولا من أجل جمالها؛ بل لمالها، وترى آخر جعلته الغيرة كالأعمى لا يرى الحقيقة، وآخر اهتم بحبيبته أكثر من الطبيعي بل وقد يستأجر آخرين أيضا للإهتمام بها، وحمايتها، والأعجب أن ترى من يبكي على قبر أم زوجته، وآخر أنفق كل ماله على حبيبته التي أخذت كل ما لديه ثم تركته، وآخر لا يرى سعادته إلا في مضاجعة النساء، وآخر يهتم بأخبار غيره من رجال الأعمال، ولا يهتم بعمله بل ويهمله إلى حد كبير، وآخر يرى متعته في تغيير العاملين لديه كثيراً، ثم يفلس بعد مدة قصيرة، وترى آخر ينفق كل ما لديه ليشبع رغباته، وآخر يفضل الحرب على أن يجلس في بيته قليلاً.

وترى كثيراً من الرجال الكبار يتصابون ويفعلون أفعال الصغار، وشاب يقنع عجوزاً غنية أنه وقع في حبها لينال من ثرواتها.

وهنا أنهي أمثلتي بالتجار الذين يكذبون ليل نهار، ولا تعلم صدقهم من كذبهم، فما أحلى تملقهم وأكثره.

وهناك أتباع فيثاغورس المشهور عنهم أنهم إذا وقع تحت عباءتهم شيء فلن يترددوا في أن ينسبوه لأنفسهم، وهناك آخرون مغرورون ويخدعون أنفسهم بالأحلام السعيدة لدرجة تجعلهم سعداء.

والبعض يرغب في ثروة عظيمة يكونها من الخارج، ومستعد لأن يضحي بأي شيء من أجل هذه الثروة، ولا يملك أدنى رغبة في أن يحاول في بلاده.

وآخر ضاع عمره في النضال من أجل الحرية والعدالة، وآخر قضى عمره في النوم، وتجنب المشاكل، وهناك من يحارب الفساد والظلم والرشوة، وآخر لا يريد الشهرة، وآخر يفعل أي شيء من أجل الشهرة، وآخر ترك زوجته وأولاده وسافر.

بإختصار، هناك أنواع متعددة من الشخصيات المختلفة التي يتمتع بها البشر، ولا يمكن حصر عددهم، ومن بينهم من يحارب بعضهم البعض، أو يساند بعضهم البعض إلا أن الكل في النهاية مصيره الموت.

الحكماء والحماقة

وإني أعد من أحد الحمقى لدرجة قد تجعل الديموقراطيين الذين يسخرون من

أنفسهم يسخرون مني، وهذا بسبب تعمقي في أنواع الحماقة والجنون.

وهذا ما يلفت أنظار الحكماء وعلى قمتهم علماء اللغة والنحو وعدد من البؤساء، الذين سبب لهم العلم مشاكل إلا أنهم سعداء بجنونهم.

إن العلماء يهتمون بكل مجالات الحياة، وبشكل سواء كان يستحق الاهتمام، والحقيقة أنهم متفوقون في دراستهم، ولكن هذا يجعلهم في طفولتهم يبدون كالكبار، يرتدون نظارات في عمر صغير، ومع هذا يرون أنهم الأفضل، على الرغم من أنهم لا يستطيعون رد الملك الظالم عن ظلمه، ولا يستطيعون تحقيق السعادة لأنفسهم.

لقد اعتادوا التعلم، وبالطبع فإن هؤلاء الأطفال قد جاءت بهم أم حمقاء وأب غريب التفكير.

ولكن ماذا لو توقفوا عن هذه الحماقة، ولكن ما أحمق من أن ترى اثنين يتبادلان المديح عن طريق الشكوى بجده وبسرعة.

إني أعرف في عصرنا هذا كثيراً من علماء الرياضيات والفيزياء ناهز الستين من عمره، وقد عذب نفسه عشرين عاماً في دراسة قواعد اللغة، وشغل نفسه بكيفية التفريق

بين أنواع الجمل، وتراكيب الكلمات، وكأنه أمر عظيم إذا وضعت كلمة في غير محلها، ولهذا السبب فإننا نمتلك كثيراً من علماء النحو وقواعد اللغة.

فهل يستحق الأمر أن تبذل كل هذا الوقت والجهد، وأن تتخلى عن أشياء مهمة في حياتك لتتعلم قواعد اللغة؟

أضف إلى هذا بذل الصحة، وترك النوم والفقر وغياب السعادة مما يؤدي للموت، ومع كل هذا، كل ما تستعمله هو كيفية الكتابة للتعبير عما يدور في عقلك، على الرغم من أن هذا لم يكن هدفك، فما أكثر الحكماء الذين يفعلون هذا!!

لكنهم هم الأكثر حكمة حيث يسيطرون على أفعال الآخرين، وينسبون الشرف لأنفسهم على الرغم من أن هذه الأعمال قام بها غيرهم، ودون أدنى جهد منهم، ويعلمون أن أحداً لن يكتشف كذبهم، ولا يعلم أحد السعادة التي يشعرون بها حين يقابلهم الناس بالهتاف، وهؤلاء في عيون الناس هم أفضل الكتّاب الذين تحقق كتابتهم أفضل المكاسب، وتعلو كلماتهم على الرغم من أنها مجرد كلمات.

وثانيا: إذا اعتبرت أن العالم يفهمه فإن

عدداً قليلاً هو الذي يمدحه، وقد ترى من غير المتعلمين أسماء مشهورة.

ولكن أسعد وأغرب شيء أن تراهم يمدح بعضهم البعض في أشعارهم، ويتناقلها الأجيال، وربما يلقبوا برسول الشعر أو أمير الشعر، والأغرب أن شهرتهم تزيد كلما مدحهم الآخرين.

وما يجعلك متحير أن الحكماء ينظرون لهذا على أنه حماقة! على الرغم من أن من فعل هذا واحد منهم!

ومن بينهم متميزون، لا يستطيع أحد أن ينكر فضلهم، فهؤلاء في المقام الأول، ولا يوجد في العالم من يسعد نفسه مثلهم، فهم يتحدثون أحاديث طويلة، ويذكرون أشياء كثير، وأمثلة عديدة في نفس واحد، تبدو لك كأنها أمور صعبة لا تفهم، حيث يضيفون لها تعقيدات منطقية ولغوية تزيد من لباقتهم، ويخرجون لنا جيلاً مثلهم، كثيرو الكلام، قليلو الإنتاج، يهتمون بالمصطلحات حتى يغيب المعنى، يسعدون بذكر أرآئهم، وأما آراء الأخرين فيقابلونها بالنقد والتشكيك في ضوضاء تزعجهم، على الرغم من أن الخصم عالم حكيم مثلهم.

حماقة الفلاسفة

وبعد هذا يأتي دور الفلاسفة الذين يرون أنهم متفردون بالحكمة والباقي يسير على نهجهم، وما أكثر سعادتهم من أنهم يؤثرون في العالم كله، ويحاولون تحليل أسباب الضوء والرياح وكأنهم علماء طبيعة، إنهم يتدخلون في كل التخصصات العلمية.

ثم بعد ذلك يكتشفون أموراً تافهة، ومن ثم لا يرحب بها أحد، لأن معظم نظرياتهم تناقد بعضها البعض، ولكنهم محظوظين حين يجدون من يؤمن بهم.

وأفضل أن أعبر عن فرحتي ونصري في صمت دون أن أعكّر المياه الهادئة، فهناك نوع من الرجال بعيداً عن المقارنة؛ ولكنهم يجبرونك على الصمت، وإذا رفضت يهاجمونك، إنهم لا يعلمون قدر العطاء الذي أمن عليهم به، حتى هذه الأشياء لا أستطيع إحصائها، فما أكثر من يعجبون بآرائهم كأنهم فقراء محتاجون للشفقة.

إنهم يستخلمون مقدمات طويلة وتعريفات غير واضحة وكلام لا يمكن ربط أجزائه ببعضها، فلا تستطيع فهم نظرياتهم، ومن ثم لا تستطيع نقضهم، وما أكثر الكلمات

الجديدة والمصطلحات الحديثة التي يجلبونها بطريقة غامضة.

إنهم يتحدثون بطريقة غامضة عن كيفية بدء الحياة على الأرض، وعن خطيئة آدم الأولية، ولا يوجد أمر إلا ويتدخلون فيه، وهذا أمر شائع ومعروف عنهم، ويرون أنهم من جيل مختلف وآرائهم مختلفة عن آراء هذا الجيل.

يسألون عن كيفية الأكل والشرب بعد الموت، إنهم يخافون من الجوع والعطش، وهناك عدد لا حصر له عن الأمور الغريبة أو التافهة التي يتحدثون عنها: مثل هل المسيح يحب النساء ومتى صلب؟ ومثل هذه الأمورٍ الغريبة التي لن تضيف معرفتها شيئاً.

أضف إلى هذا، الدقة الشديدة في الأمور إلى حد كبير، بحيث يناقضون الآراء المعروفة، ومع هذا أنهم يرون "أن قتل آلاف البشر جريمة يمكن غفرانها أما ترك فقير بلا ثياب فلا"، وكذلك "أن الإنسان عليه تحمل الجوع أو العطش والموت عن الكذب"، وهذا ما نفاه كثير من العلماء.

وكذلك حين يرون أن "الإيمان شيء غير مادي نأمل الوصول إليه"، إنهم يؤمنون

بالرسل، لكن يسألون هل هم يموتون أم تخلد روحهم في السماء؟

وهل يستطيعون زيارة أماكن مختلفة في نفس الوقت؟ وكيف أن روح المسيح في السماء بعدما صلب؟.

إنهم يؤمنون بحواء؛ ولكن كيف ساهمت في خطيئة آدم التي تحملها البشر كلهم؟

إنهم يتبعون الخرافات، ومن هذه الخرافات، إنهم يعبدون صورة المسيح الملصقة على الحوائط.

إن الرسل يقدمون لنا النعم ولكن من منهم فرّق بين نعم الطبيعة والنعم التي جعلت الإنسان مقبولاً، إنهم يدعون للإحسان؛ ولكن دون تفرقة بين الإحسان عموماً والإحسان الذي يشعر به الإنسان داخله.

إن "باول" الذي من علمه تستطيع أن تحكم على الأشياء يسمي الفلاسفة "اللاعبون بالألفاظ"، وعلى الرغم من أن الفضلاء معتدلون، ومتى علموا أن هذا الأمر أمر به المسيح يفعلونه لمجرد أن المسيح قد أمر بذلك، وحقاً إنه من الظلم أن تفعل شيئاً لا تعلمه، ولكن الفلاسفة إذا

علموا أن هذا الأمر من المسيح يقولون إنا "لسنا ملتزمين به".

إن الرسل يعلمون حماقة الفلاسفة واليهود، ومن النادر أن تجد من بينهم من يستطيع أن يفهمهم، ولا يستطيع أحد أن ينقض عليهم إلا إذا كان يملك جمجمة حديدية، أو يملك من الوقاحة ما تجعله يغلبهم في النقاش، أو قادر على استخدام نفس الحيلِ التي يستخدمونها، فيكون خصماً قوياً لهم، وكأن ساحر يلاعب ساحراً، أو محارب أمام محارب، والقتال بلا هدف. وفي رأيي أن المسيحيين سيكونون أفضل وسيحققون نصراً لم يحققه أحد من قبل، لأن مكايد الفلاسفة في الفهم غاية في الغباء.

ولكني أعلم أنك ستقول أني أمزح، وأنه من بين المتدينين من هو متعلم بشكل يجعله مستعداً لمهاجمة هؤلاء الحمقى مهما كانت أساليبهم.

فمن الناس من يكرههم لدرجة أنهم يتحدثون عن مساوئهم كثيراً، وينكرون آرائهم، وحين يلعبون هذه الحماقات في مدارسهم يعتبرون أن العالم مسئول عن هذا، وأن الشعراء سعداء بهم، ولكن ما

تلك السعادة؟

إنهم إن لم يجدوا ما يسعدهم يبتكرون ما يسعدهم بوضع خطط ومساعدة طلابهم، لذا فهم يجبرون الكل على الرد بطرق مختلفة، وهذا أسلوب سيء ويعد فضيحة في حقهم.

والحقيقة التي لا ينكرها أحد أن هؤلاء الفلاسفة لا يستطيعون أن يهدوا قلباً ليصبح مسيحياً، إلا إذا أراد الله.

ولكن كيف يمدحون ويصفون الأشياء، وكيف يضعونها في إطار وكأنها ثروة يقتسمونها، إنهم يغيرون الأشياء المتفق عليها، ويضيفون الجديد بطريقة جيدة بلا شك.

إن عقولهم مليئة بالأفكار، وإني أموت من الضحك حين أراهم متمسكون بأرائهم ، وكيف إن القليل وأقل من القليل يستطيع أن يفهم كلامهم، ويقولون: "نحن الصفوة ولا يصل لعقولنا السفهاء"، ويعتبرون أنفسهم يستخدمون القواعد اللغوية بشكل صحيح، والحقيقة أنهم يفسدون الكلام، ولا يتحدثون بصراحة

وأخيراً؛ فهم يضعون أنفسهم في طبقة فوق البشر، ويطلقون على أنفسهم "الأسياد"،

كما يقول اليهود: أنهم "شعبِ الله المختار"، فهم يعادون من يكتبِ شيئاً يخالف كونهم الأسياد ويعتبرونه جرماً عظيماً.

ويأتي بعد ذلك هؤلاء الذين يطلقون على أنفسهم عادة المتدينين والرهبانِ، وهمِ لا يستحقون كلا اللقبين، لأن عدداً كبيراً منهم بعيدين كل البعد عن الدين، ولا يوجد منٍ هو أكثرِ إنتشاراً من هؤلاء، ولا أرى شيئاً أكثر يأساً من دعم هؤلاء بشتى الطرق، ولذلك فإن كل الناس يبغضونهم بشكل كبير، ويرون أنه من سوء الحظ أن تقابل أحدهم، ولو مصادفة إلا أنه من دواعيٍ سعادتهم أن يتملقوا أنفسهم.

أولاً: إنهم يعتبرون أن أحد دواعي الشفقه إذا كانوا جهلة لا يستطيعون القراءة، وعندما يكونون في مكاتب عملهم التي تتحدث عن حالهم بحكايات أكثر من الفهم، يرون أن الله سعيد بانتشارهم.

ومن بينهم من تندلع ثورته لأقصى حد إلا أنه يخضع ويستسلم من أجل كسب قوت يومه، لكن من النادر أن تراهم في الفنادق والمركبات والبواخر، فهم لا يتطفلون على هذه الأماكن بسبب الضرر الغير هين الذي يطول الأثرياء بسبب المتسولين،

ولكن كالأتباع المخلصين يقدمون لنا بأشكالاً من العنف والجهل والوقاحة ما يطلقون عليه حياة الرسول.

ولكن لا شيء أكثر عجباً من أن كل ما يفعلونه يندرج تحت قاعدة، وكأنه مسألة حسابية، أقل ما يطلق عليها جريمة لا تغتفر، كأي عقد تدهسه أحذيتهم على كل لون، فيالاختلاف العادات التي تصنعها المادة، فيالثيابهم البالية الواسعة ذات الصيحات العجيبة، ويالقلنسوتهم كم هي واسعة، وما أطول شعورهم، وما أكثر ساعات نومهم، وكم هو غريب سلوكهم بإختلاف أمزجتهم وأجسامهم، وكم من شخص لايفهم سلوكهم؟

ولكن بمنطق هؤلاء الحمقى، هم يختلفون عن العامة، بل لابد أن يكونوا مختلفين.

ومن جانب آخر، فالرجال متمكنون في جلب الشفقة ولكنهم يكرهون بعضهم البعض، بسبب اختلاف العادات أو ربما لأنهم ذو لون أغمق يأخذون الأمور بحدة وعنف.

ومن بين هؤلاء من هو متدين، ثيابهم من وبر الجمال وقلوبهم بيضاء، وعلى العكس فهناك آخرون يلبسون الكتان وقلوبهم

ليست صافية، وهناك أيضا من يخافون من المال الحرام كما يخافون من السم، ولا يقربون الخمر ولا النساء، وباختصار، فإن كل مايهمهم هو ألا يتدخل أحد في أسلوب حياة الآخر، ولا يسعى أحدهم ليكون كالمسيح، لكنهم حقاً مختلفين فيما بينهم.

وهناك جانب سعادة آخر يكتسبوه من أسمائهم، فهم يطلقون على بعضهم قليلو الأهمية، والبعض عديمو الفائدة والبعض ينتسب للملك أوغسطس، والبعض للملك وليام، وكأنهم لايستحقون أن يطلق عليهم مسيحيون.

ومن هؤلاء من يؤدي مناسكه على أكمل وجه وبخشوع، ويعتقدون أن جنة واحدة لاتكفي كجزاء لكل هذه الحسنات، وقليل آخرون يتمنون لو يأتي اليوم الذي لايأخذ المسيح اعتباراً لكل هذه الأشياء، ويدعو إلى منهجه وهو الإحسان.

فواحد قد يريك حوضاً يجمع كل أنواع الأسماك، وآخر انشغل يتلو صلوات كثيرة، وآخر يصوم كثيراً ثم يأكل كثيراً ليعوض هذا الصيام، وآخر يؤدي شعائر يصعب على السفن العتية تحملها، وآخر يتباهى

أنه لم يلمس مليم بيده إلا مرتدياً قفاز لمدة ثلاثة أعوام، وآخر يرتدي قلنسوة مدهنة كأنها غطاء قد التصق بموضعه، وآخر يخبرك أنه عاش خمس وخمسون عاماً كالإسفنج ملتصقاً بمكانه، وآخر تربى على تلاوة ترانيمه اليومية بصوته الأجش، وآخر اعتاد الكسل بسبب حياة العزلة التي عاشها، وآخر عجز لسانه عن الكلام.

ولكن المسيح يقاطعهم في تفاخرهم الذي لا ينتهي سائلا: "من أين جاء هذا النوع الجديد من اليهود؟"

أنا أعرف أحد الوصايا التي تهمني والتي لم أسمع غيرها، أنا أثق أنها صحيحة من تراث أبائنا، إنه بدون أن أقرأ التوراة، فأن الصلاة الفردية والصيام من أساسيات الإيمان والإحسان، وبدون أن أعرفهم، أعرف أخطائهم.

إنهم يبدون أكثر خشوعاً مني، فدعهم إذا كانوا يحتفظون لأنفسهم بثلثمائة وخمس وستين جنة، واسألهم، من الذي اعتاد الحماقة قبل أن تنزل تعاليم ديننا؟ (متى سيسمعون هذه الأشياء ليروا أناساً طبيعيين يفضلون عليهم؟ بأي مبدأ تفكر؟ هل يشاهد بعضهم البعض؟) في الوقت الحالي، إنهم سعداء بآمالهم، ولهذا هم ينظرون إلي.

ولكن هذا النوع من الناس يعتقدون أنهم من الأثرياء، ولا أحد يجرؤ على احتقارهم، خاصة المتسولون، لأنهم مطلعون على أسرار كل الناس من خلال الاعتراف، لأنهم يدعون أنفسهم رهباناً.

وهذا كنز يسحق الاكتشاف، فهم يملكون عقلاً يسعدهم، إلا إذا أصبحوا سكارى، فيصرحون بكل شيء، أي يشيرون للأفعال دون ذكر أسماء الفاعلين .

ولكن إذا أزعجهم أحد فهم يستطيعون أن ينتقموا لأنفسهم في خطبهم، بحيث يعلم الكل من الذى يشيرون إليه، وهنا ينتظرون حتى تسكت ألسنتهم عنك.

والآن أخبرني هل رأيت دجالاً كهذا يجيد تمثيل الحماقة التي يقدمها من خلال وعظه، ويقلد بإتقان ما كتب كاستنكار بلمسات من الكلام المعسول؟ يا إلهى ما أكثر الأساليب التي يمتلكوها. كيف يستغلون أصواتهم، ويتغنون بكلاماتهم، ويجيدون ارتداء الأقنعة التي تحير الكل مستخدمة الضوضاء؟

ولكن هذه الموهبة ليست غريبة فقد أورثها الأخوة بعضهم البعض، ومن غير المسموح لي معرفتها، ومع ذلك سأغامر

بحذر لأعرفها.

أولاً: إنهم يستشهدون بالشعر بقدر المستطاع، والخطوة الثانية إذا كانوا في مجال الإحسان فهم ينسبون الأمر إلى نهر النيل، أو يذكرون نادرة العبور من الجرذ حتى التنين، أو يناقش الصيام منذ العلامات الاثنى عشر حتي دائرة البروج، أو يدعو إلى الإيمان مستخدماً الكلام في الإطار الذي يريده.

لقد سمعت أحدهم بنفسي ولم يكن ضعيف الموهبة، ولقد كنت مخطئاً في ظني أنه طالب، ولقد رأيته في جمعية مشهورة يتحدث عن الثالوث حيث كان يعرض علمه الفائق كالمعتاد، ومع مطابقته للآهوت، إلا أنه أخذ منهجاً جديداً ليعرض حكمته في الخطابات والمقاطع والكلمات نفسها، ثم بالترابط المنطقي لرفع قواعد الأفعال والصفات والموصوف

وبينما كل الحضور تعلو وجوههم الدهشة والبعض يتسائل متمتماً: "إلى ما يلمح هذا الصارخ؟".

وفي النهاية يفهمون أن الأمر يرجع لعقله، ثم يثبت أن الثالوث قد وضحت في أساسيات قواعد النحو، بحيث إن أفضل

عالم رياضيات لا يستطيع توضيحها بفصاحة أكثر منه، وفي هذا المنهاج يكون هو أفضل عالم لآهوتي على الإطلاق.

ولكن في هذه اللحظة يكون قد أعمى العقول ليروه أكثر الناس حكمة، ولكنه لايبالي بعدم معرفته الجيدة، لأنه قد نال تمجيد الناس بما قاله، وهذه هي جائزته.

ولقد قابلت غيره من يبلغ من العمر ثمانين عاماً، ولكنه شرير لدرجة تجعلك تقسم أن إبليس يعيش بداخله، ويؤمن أن اسم يسوع لم يرد، ويبرهن على ذلك بقوة، وهو يخفي كونه علماني، وكل مايمكن أن يقال عنه أنه يفقد أهميته في ثلاث حالات، الأولى: تنتهي في s والثانية: في m والثالثة: في u، وفيها نادرة أقدس من أن تذكر.

وهذه الحروف الثلاثة توضح لنا أنه هو البداية والوسط والنهاية لكل شيء، إلا أن اللغز لايزال مبهماً، وبالنسبة له فهو يقسم كلمة اليسوع إلى جزئين متساويين، بحيث يترك الحرف الأوسط منفرداً ويدعي أنها بالعبرية، ولها معنى في اللغة الاسكتلندية، وهو الخطيئة، أي أن اليسوع هو الذي يمحي الخطايا.

وبهذا الاستنتاج فإن المستمعين سيعجبون به بشدة خاصة علماء الآهوت.

إنهم يريدون القليل ولكن ليس كيعقوب.

وكما حدث لي عندما كنت أتلو التوراة، ولكن وبدون سبب "متى كان الروماني "سيزرو" أو اليوناني ديموثنس مذنبين؟"، إنهم يعتقدون أن المقدمة خطأ، فهي أكبر من الموضوع نفسه، وكأنك قد قدمت العربة أمام الحصان، وهذا ليس من الحكمة التي أرسلهم الله من أجلها، وهذا يعلم الناس الاهتمام بتقديم ما يدعون إليه؛ وبشكل استنكاري، فعندما يتضمن الكلام ترابط منطقي مع بقية الموضوع فذلك يحوز اعجاب المستمعين، ويجعلهم يتسألون ما الذي سيقوله الآن؟

وفي المقام الثالث يقرأون نصوص منقولة بدلاً من شرحها، وحكايتها، ويتناولونها بشكل من الدقة، وكأنها النهاية أو الخاتمة، وهذا هو الشيء الوحيد الذي يجب أن يتمسكوا به وكأنهم يتبادلون الأدوار على المسرح، يتسألون عن أشياء في الذات الإلهية ويتحدثون عدة مرات عن السموات والأرض، ليبدوا وكأنهم يعزفون قطعة موسيقية. وهنا يكونون قد هزموا آذان

المستمعين، ويأخذوا الألقاب كالأطباء الماهرين البارعين العظماء الذين لا يقف أمامهم أمر إلى غير ذلك.

وهنا، وبشكل أوسع، فإن القياس المنطقي عند الجهلة إما صغيراً أو كبيراً، وإما بداية أو نهاية، ومثل هؤلاء تهزمهم الحذلقة.

ويبقى الفصل الخامس الذي يتوقع الإنسان أن يرى فيه براعتهم، وهم يتلون قصصاً خيالية لاعلاقة لها بالنصوص، ويشرحها بشكل فيه استعارة، وبعد هذا يكون قد استخدم خرافات أدخلها في كتابته الدينية.

ولكنهم قد عرفوا من شخص أنا لا أعرفه أن بداية الكلام يجب أن تكون متزنة وغامضة، وتدعو إلى القلق، ومع ذلك فهم يبدءون حديثهم بهدوء وكأنه أمر غير مهم أن يفهمه الناس، وتعلموا أن يستثيروا الأسماع برفع الصوت، وحينها يتحدثون كأنهم فأر في مصيدة تعرض لعنف شديد، ولأن الكلام يشير لأحد فيسمعون باهتمام. ثم يبدءون في استخدام نبرات غريبة في كل جزء، ولذا فإن الأمر لا يكون سهلاً أبداً، وينتهي إذا أصبحوا لايستطيعون

التقاط أنفاسهم.

وأخيراً، لقد تعلموا أن السخرية تجلب الضحك، لذا فهم يتنقلون من مزحة لأخرى، ولكن هذا يتنافى مع الحكمة ويبعد بهم عن الغرض المرجو، وفي بعض الأحيان يستخدمون الوخزات؛ ولكن بشكل فكاهي لا يحرج أحداً ولا يبدون كأنهم يتجملون؛ بل بالعكس يبدون كأنهم قد استغلوا أقصى حرية للتعبير.

وكل هذه الاشياء تجعل المرء يقسم أنهم تعلموا هذه الأشياء من المهرجين المشهورين، ولكنهم يختلفون عنهم في أنهم يجب احترامهم، ومع ذلك فهم سواء، لأنهم يعلمون بعضهم البعض كيفية السخرية، ولكن عندما تسمعهم تقسم أنك تسمع " سيزرو" أو "ديموسثنز".

ومن أي نوع تجارنا ونسائنا الذين حاول هؤلاء إسعاد أسماعهم؟ وحاولوا من البداية اجتذاب أسماعهم بلطف، ولم يفشلوا، فالنساء يمكن خداعهم بسهولة في هذا الأمر، وفي أمور أخرى.

أما الباقون فهم أزواج هؤلاء النساء اللاتي ستقنعهن برأيهن.

والآن، أراني أخدع نفسي، ألا ترى أن

هذا النوع من الناس قد لفت نظري بشدة، إنهم نوع من البشر يؤمنون بأنفسهم لدرجة كبيرة، ولكني أود أن أتعدى هذه المرحلة من المنافقين، إني رأيته كملجن يمثل الدين الذي لا يدين به.

والآن كيف لي انتقل بسرعة للملوك والأمراء الذين احترمهمٍ إلى حد كبير، لأنهم أهل للاحترام، وحقا، فإذا كان الحكم بيدهم فهل يوجد من هو أسعد منهم؟ وكم هو ثقيل حملهم؟

ومما يقلل مسئوليات الأمراء حتى لا يحكموا بالزور، فيجب أن يأخذ الملك في الاعتبار أن الصولجان الذي في يده يجب أن يحكم الشعب، ولا يستخدمه لاهتمامته ومصلحته الشخصية، بل للصالح العام، فلا يستغل أنه مشرع القانون وكذلك عليه اختيار حكومة ومساعدين عادلين، لأن الأنظار تحلق حوله، ولأن من سلطته تحقيق حياة آمنة، وكذلك يمكن أن يفعل الكوارث التي تجلب الدمار والخسارة، فذنبه ليس كذنوب العامة، ولأن انحراف الأمير الذي يأخذ هذا المنصب يؤثر أكثر من انحراف الملك نفسه، ويفتح فجوة يدخل منها الكثير من المخربين.

وإلى جانب، هذا فإن ثروة الأمير قد تؤدى به لطريق غير مستقيم كالتملق والإسراف والسعادة، ولهذا عليه أن يسعى لمزيد من الانضباط ومحاسبة النفس، وإلا سيفشل في مهمته.

وأخيراً، لا يمكن تجنب الحديث عن ثروة المساعدين الفاسدينٍ، لأنه أمر خطير، ولأنه إذا كان الملك عادلاً فسوف يدعوهم للمحاسبة عن كل تجاوز قريب، فإذا كان الأمير حكيم فلن يتلذذ بطعام ولا نوم، ولكني أراهم تخلوا عن خوفهم من الله، فلا يهتمون إلا بأنفسهم، ولايسمعون لأحد. إن ما يسألون عنه فقط هو كيف يتحدثون بلباقه وبشكل لا يعطل أعمالهم؟

إنهم يرون أن مهمتهم كأمراء أن يستغلوا كل لحظة لبيع المناصب والمسئوليات، وايجاد طرق لاستنزاف أموال الشعب لتضاف إلى حسابتهم الخاصة.

ولكنهم يجيدون وضع عناوين لائقة لهذه السرقات فتبدو جميلة ليكونوا دائما في مأمن من الشعب .

ولأنه إذا كان هناك رجل يجهل القانون، ولا يهتم إلا بمصلحته الشخصية وسعادته، يكره العلم والحرية والعدالة، ولا يعلم

شيئاً عن أمن المجتمع، ولايزن الأمور إلا بميزان الربح والأهواء الشخصية، ثم وضعت في يده سلطة التشريع، فلك أن تتصور كيف سيستغل القانون لصالحه الشخصي، ومع كل هذا سينعم بالثناء لأنه من الأثرياء، وهذه هي حياة الأمراء، وإني أؤمن أنه سيكون خجلاً وخائفاً، وسيحول هذه الثروة لمخزون يؤمن به حياته.

أما بالنسبة للملوك أنفسهم، فكم أراهم أكثر حمقاً وخسة، ولكنهم يبدون الأفضل على الإطلاق، وفي هذا الشأن لا يوجد منهم معتدلون، إنهم يريدون ارتداء الذهب والمجوهرات، وما غير ذلك من علامات الحكمة والملك والفضل، أما في دراسة الأشياء يلقون بالأمور على من غيرهم من الذين يسعدون بمدح الملك، وتلقيبه بسيدهم، ويسعون لإرضائه ويدركون متى وأين ينادونه بجلالتك وسيادتك، إنهم يصنعون الإطراء بسعادة ويجيدون فن التعامل مع الملوك والنبلاء.

ولكن إذا نظرت لسلوكهم وجدتهم مجموعة من السكارى يجيدون إلقاء القصائد أكثر مني، إنهم ينامون حتى الظهيرة ويتناولون الإفطار على أسرّتهم حتى قبل أن ينهضوا،

وبعد الإفطار يذهبوا للعب والقمار أو غيره، ليستمتعوا بوقتهم، ويشربون الخمر ثم يتناولون وجبة خفيفة وبعدها يجلسون على مائدة عظيمة، وهكذا يقضون أوقاتهم.

ولكني أراهم يتحدثون بكلام عظيم فكل سيدة منهم تؤمن أنها قريبة من الله، فتخادع نفسها، وكذلك النبلاء يمدحون أنفسهم كأنهم أقرب ما يكون من المسيح، وهكذا يسعدون أنفسهم أكثر ما يسعدهم الجموع الطائلة الذين يتملقونهم، ويمدحونهم بذكر المهمات الثقيلة التي يحملونها على أكتافهم، وبذكر ثرواتهم وقوتهم.

وليست المشكلة في هؤلاء فقط، وإنما تمتد لتطول القساوسة والكهنة ورجال الدين، الذين يتبعون خطى هؤلاء الملوك والنبلاء، فكل امرئ يتبع سيده ليحيا حياة تحاكي حياة الملك، وسلوكهم كله يشير إلى نفس الشيء، وهو أنه سلوك غير مسئول، ستشهده الأجيال القديمة والحديثة، وسيعرفون أن حكوماتهم لم تكن حكومة أسرار مقدسة، بعيدة كل البعد عن حب الدنيا، فكم يبدون أمام الشعب في صورة شريفة، ولكن الحقيقة تظهر دائماً.

فهذا ما أؤمن به، وما يجب عليهم أن يأخذوه في الحسبان، إنهم سيعيشون في حزن وألم، فهم لايهتمون إلا بإطعام أنفسهم فقط، ويتركون إطعام الشعب على المسيح، ويسمون الشعب بالفقراء، ولا يبالون بكلام البيشوب عنهم طالباً لهم العدالة والحرية، وحل مشاكلهم، أما كلام البيشوب عن الأمور المالية، فينال حسن استماعهم وإنصاتهم.

وبسلوك مشابه، فإن الكرادلة يعتقدون أنهم ممثلون عن الأنبياء، وأنهم يجب أن يتخيلوا بحكمة ما يفعله العامة، وأنهم ليسوا أسياداً؛ بل إنهم يقدمون الروحنيات التي يجب عليهم أن يملكوها، ولكن إذا كانوا يفكرون بشكل فلسفي في معنى ارتدائهم لقمصان واسعة من الكتان، هل هي علامة على بغض الحياة؟ أم يكن هذا حباً جاداً لله؟ أو إلى ما يشير هذا؟ .

وما تعني ثيابهم الفضفاضة المسدلة التي تكفي الجمل، ألم تكن تعني نوعاً من الإحسان الذي ينشرونه بين الناس؟ لقد كان هذا من أجل إيقاف الحروب، ومكافحة الأمراء الضعفاء الذين لايهتمون إلا بزيادة ثرواتهم.

ودعوني أقول: إن هذه الأشياء التي يضعونها في الحسبان تجعلهم لايطمعون في

الكرامة، ويتركونها باختيارهم، ويتركون حياة الرسل النقية.

أما بالنسبة للبابا، الذي يمثل المسيح، فإذا حاولوا اتباع حياته من فقر وعقيدة، فعليهم أن يأخذوا في الحسبان معنى البابا، إنه الأب العظيم الذي لايوجد من هو يحيا حياة أكثر حزناً منه، والذي يجب أن يدافع عن هذا المنصب بكل ما أوتى من قوة، وبالسيوف، وبكل قوة يمكن تخيلها.

فكم هو مربح أن تكون حكيماً، ولكن المرء الذي تحدث عنه المسيح ثروته هي الشرف، يواجه العوائق والمهام الشاقة كالحراس، فلا يجب أن يفقدوا هذه السعادة، وإنك ترى كم أوجزت، فهي تستحق الصوم والدموع والخشوع والتزلل والمراقبة، ولا يأخذ هذا أدنى اهتمام، فبعض المساعدين والموظفين في البنوك وغيرها يشحذون لقمة عيشهم.

إن معظم الأفعال الغير آدمية والفساد الاقتصادي يقتدى بها في الكنائس والعالم كله، وهذا ما يقدمه الملوك، فإن كان هناك شىء سيء ينسبونه" لبيتر" و"باولو" أما الأفعال الحسنة ينسبونها لأنفسهم، وهذا يعني أنه لايوجد أحدا يحيا بدون عناء،

والمعجزات أصبحت شيئاً عتيقاً من الماضي، ولا يتماشى مع الموضة .

ولكي توجه الناس وتدعو إلى الخير لن تجد سوى سكب الدموع، إنه شيء سخيف، ومن أفعال النساء .

فإن كنت فقيراً تعظم الملك لدرجة تقبيل قدميه تموت مغموراً، وهذه هي أسلحتهم ثناء، ولهذا فهم يتذللون بقدر كبير، ويحملون الأعباء والحروم، ولكن كل هذه المتاعب يصلون بها لإيقاع الناس في أسفل أسفلين النار.

ولكن هؤلاء الكهنة والآباء العظماء لا يعاتبون بشدة، إلا من هم مثل الشيطان، يحاولوا التخفيف من تراث "بيتر" وهذه الكلمات في الإنجيل تقول "لقد تركنا الكل واتبعناك"، ولكنهم يسمون الأرض المقدسة، والمكوس، والأغنياء الذين من أجلهم يولع بحب المسيح، فهم يؤكدون أنهم يدافعون عن الكنيسة بالسيوف، والنيران، والدماء عندما تطلق الأعداء كما يسمونهم عليهم غارات عنيفة، وكأن الكنيسة لها أعداء لا يفتكهم إلا الأسقف الضعيف، الذي يعاني من أجل الدعوة التي يعوق انتشارها القانون، وهو يفتعل هذا ليربح،

فهو يصور أن قوته يعوقها الشر، وهذا يمثل حياته بشكل درامي.

لا بد أن سمعت عن "تيوماتس" المحظوظ، لدرجة أن كتب له مثلاً يقول: "نائم والسمك يختار شبكته"، على الرغم من أن كثيراً يسعون للرزق لا ينالون شيئاً، ولا يحققون شيئاً، ولا يقابلون إلا سوء الحظ، والحقيقة هي أن الحكمة هي التي جعلتهم لا ينالون سوى الفقر والعار، فيعيشون مجهولين فقراء، أما الحمقى ينالون الثروات ويجالسون الأمراء، ويرتدون الذهب والحلي ويسكنون القصور.

إنه لا يوجد شيء ليس له فائدة مثل الحكمة، وإذا سعى للربح فإن الجاهل الغبي ينال الرزق، والحكيم لا يناله شيء لأنه لن يقبل بالربا ولا الغش ولا الكذب، كما أن الأحمق ينجح في جذب فتاة صغيرة، ويجعلها تحبه، أما الحكيم فلا.

وأخيراً، على كل من يريد حياة سعيدة أن يبتعد عن الحكمة، وبإختصار، إن المال يسيطر على الكبير والصغير، الغني والفقير، ولأن المال لن يصل للحكماء، فإن الحكم في يدي أنا الحماقة، وهنا لا داعي لأن تشكرني، فإن المديح خلف لي.

وهنا أقول ما أجمل الحماقة التي فوائدها طالت كل شيء!

وثانياً: "إنه من السعادة أن تفعل الحماقة في وقتها المناسب"، وربما في مكان آخر من الأفضل أن تكون حكيماً، وتترك الدعابة التي يمدحها الشعراء كثيراً وكأنها ثروة عظيمة، فإن معظم الروايات تقص حكاية الشعب الأحمق مع الملك الأحمق، إلى جانب أن المدح الذي تناله الحماقة لا ينتهي، لأنها لن تترك صحبة الأشياء كلها أياً كانت، ومن ذا الذي لا يعلم أن "الحماقة لا تتخلى عن أصدقائها".

لكن ربما أن سلطتهم لها صلاحيات قليلة بين المسيحيين، ولهذا سوف ندعم مدحنا ببعض الإستشهادات .

إذا سمحت لنا، في المقام الأول نريد أن نتحدث دون أي هجوم، ثم بعد ذلك حيث إنه كلما حاولنا أن نناقش أمراً به صعوبات فمن الأصعب أن ترجع عنه، إنها رحلة بلا رجوع خاصةً في أمر غريب كهذا، وحيث إن أقدم الدين إنه شيء صعب أكثر من كونه قيماً.

وأتمنى لو أنني تغيرت سماتي بعد هذا، أو أن أرتدي ملابس الحكماء، ولكني حقيقة

خائف من هذا الأمر وكأني متهمٍ بالسرقة، لكن يجب أن لا يبدو هذا غريبا، إذا كان بعد كل هذا قد وصلت لشيءٍ.

لكن هذه النقطة هامة جداً فإنه يقال إن "عدد الحمقى غير نهائي"، ومن قال هذا لم يفهم كل البشر ، بل قام بالتجربة على عدد قليل، لكنه أمر سيقابله كل الناس، فقد قال كاتب آخر يدعى "جيرما": "إن كل إنسان يصنع الحماقة من خلال حكمته، فعليكم أن تتركوا الحكمة لله، والحماقة للناس"، وأيضاً، "لا تدع الإنسان يعظم نفسه بالحكمة".

ودعني أسألك، لماذا طلب منا هذا الكاتب أن نفعل هكذا؟ لأنه سيقول أنه لا يوجد إنسان حكيم، أو إذا عدنا للكاتب الأول عندما يقول بصرخة: "إن الكل تافه"، فما هي آراءه الأخرى؟ هل تصدق أنه يؤمن كما قلت لك سابقاً أن حياة البشر عبارة عن "مجموعة حماقات؟" "فكل شيء مليء بالحماقة" .

وثانيا: هذا الواعظ الحكيم الذي قال "إن الحماقة تتغير كالقمر لكن الرجل الأحمق لا يتغير فهو ثابت كالشمس"، فما الذي أضافه غير أن البشر كلهم حمقى، وأن

الحكمة ليست إلا لله عز وجل، فمن القمر يفهم المترجمون طبيعة البشر، ومن عند الله فقط تنير الحكمة الأرض، كما تنير الشمس الكون.

فإن المسيح نفسه قد ذكر أن الكمال لله وحده، وهو الذي يستحق الكمال، لذا فلا مانع من أن يكون البشر كلهم حمقى.

وهناك كاتب ثالث وهو "سولمون" ذكر في كتابه في الفصل الخامس عشر فصل الحماقة، "أن الحياة دون الحماقة تعني حياة بلا سعادة"، أما في الفصل السابع فيقول: "إن الحزن يملئ القلب الذي ترك الحماقة"، فإن الحكمة لا تكفي، فوجود الحماقة مهم في حياتنا، وإذا لم تصدقني فعليك أن تقرأ الفصل الأول الذي يقول فيه: "لقد علمت قلبي الحكمة ثم علمته الجنون والحماقة"، فقد أعطاني أهمية أكثر إذ ذكرني بعد الحكمة، وكما يقول الواعظ ورجال الدين: "إن الشيء المهم لا يأتي في البداية ولكن في الخاتمة".

إلى جانب ذلك فإن الحماقة أفضل وأهم بكثير من الحكمة، ويشهد بذلك "ابن سيراتش" في الفصل الرابع والأربعين حيث يقول: "فإني لن أنطق بكلمة إلا

بعد أن ترد على أسئلتي"، وطبقاً لما يفعله هؤلاء فقد وقع "بلاتوا" في خلاف مع "سقراط".

هل يوجد شيء لا يحتاج إلى العناية والرعاية؟ لماذا لا ترد عليّ؟ إن الرد في المثل اليوناني الذي يقول: إن الماء القذر لا يستحق إلا أن يلقى خارج المنزل، هل منكم أحد أحمق لدرجة أن يلقي بالجوهرات والذهب في الشارع؟ في الحقيقة أعتقد لا، إنك لن تلتقي بها بل تضعها في مكان سري للغاية، بل ربما في خزنة أو بنك، لذا فإذا كنت تحتفظ بالأشياء الثمينة، وتلقي الأشياء التي لا أهمية لها، فكذلك الحكمة والحماقة، فأنت تهمل الحكمة لأنها بلا قيمة، وتحتفظ بالحماقة لأنها تسبب لك السعادة، لذا فإن الحماقة تستحق الرعاية والإهتمام.

وإليك كلمات أحد الكتاب الذي يؤكد على أهمية الحماقة في قوله: "لأن تخفي في نفسك الحماقة أكثر بكثير من أن تبطن الحكمة" أو حين يقول "إن العقل السليم هو عقل الأحمق أما الحكيم فلا يشبهني"، أو كما يقول في الفصل العاشر من كتابه: "إن الأحمق في حياته يظن أن كل الناس

حمقى"، وكما أن الملك لم يخجل حين قال على نفسه أنه أحمق من أي أحد سواه، أو كما كتب أحد الكتاب إلى صديقه "إني أتحدث كالأحمق حيث إنه لا ينقص من شرفي وعزتي شيء حين أصرِّح عن حماقتي".

لكن هنا عليَّ أن ألفت الأنظار، وأجذب الإنتباه إلى أحد أصدقائي الذي يستحق الذكر فإنه أحمق للغاية، فهو يمثل الحماقة ذاتها، إنه يستحق أن يلقب برسول الحماقة، وبمعنى أوسع مما تتخيل فهو أحمق من الكل، فكما أن الرسل يبلغون رسالة الله إليه، فهو يبلغ رسالة الحماقة، كما أنه يتحدث بغطرسة شديدة كما أن الناس يستمعون إليه بإنصات، وكما قال الكاتب "إني أتحدث كالأحمق لأن الحمقى يقولون ما يريدون دون أن يهاجمهم أحد، يكتب ما يفكر فيه دون خوف" وبصراحة، إني أتبع نهجه فإني أتحدث بصراحة، بل ربما بوقاحة، وعلى عكس الأطباء الذين على الرغم من علمهمٍ إلا أن أغلبهم يقعون في الخطأ، وقليلاً ما يكونون على حق. خاصة إذا كان أحد المتخصصين الكبار ذو سمعة كبيرة.

ولكن لماذا أدافع عن نفسي بذكر مثال واحد؟ وكأنه أمر غير معروف كما أن الله

يسود السماء، هناك كاتب ذو خمسة ألسنة، يجادل من أجل أن يثبت إيمان النصارى، وترك باقي الدين لأنه ضده، ولكنه يقول: "إن الله هو رب آسيا وأوروبا وأفريقيا"، ثم يقول "هل أبناء الرسل يخدمون نفس الغرض؟"، لكن الحقيقة هي لا فإن منهم من لا يتبع الرسل.

وماذا عن الأسلوب الذي لا يريدونه للنجاح، عندما يكون الطبيب الذي لا أود أن أذكر اسمه، الذي يناقض عقل المسيح كالماء والنار، فعندما يكون الأمر الآخر من الخطر يمكن حله، إلا أن العودة فيه تحتاج لأسلوب خاص لنصل للحماية، ونحتاج لدفاع المسيح سواءً كانوا يريدون أي شيء أو لا، وحينها لا يحتاجون لأحذية تحمي أقدامهم، وعندما يفكرون في هذا يقولون: "لكن الآن أملك حقيبة دعه يأخذها، ولكنه لا يملك شيئاً، ودعه يبيع معطفه ويشتري سلاحاً"، وهنالك حقاً لن يحتاجوا لا لحذاء ولا معطف ولن يحتاجوا إلا للسيوف.

ليس كاللص والقاتل، ولكن سيف الروح ليقطع أي أمر دنيوي، فلا يهمهم شيء سوى حقوق الله وطاعة الله والإلتزام

بأوامره، ودون أن يهتموا بأن يعرف الناس هذا أولاً.

وبسيفه سيحارب الشهوانية داخله، ويحارب كل الرغبات السيئة، ويضعها في الحقيبة الذي ذكرها المسيح ليدافعوا عن الحق ضد الشر، ولهذا سيموت الكبر داخل القلب، ويسود التواضع وهذه الحياة تحتاج لرعاية، ولذا طلب منهم المسيح أن يحملوا السيوف، فقد طلب السيف لتقتل في قلبك كل ما هو قبيح، وتملئ قلبك بكل جميل، وتتخلى عن الحياة الفاخرة لتكتفي بالضروري الذي يكفيك كما يفعل كل من يبلغ رسالات إليه، ولا يسمح لهم أن يتركوا منازلهم إلا إذا كانوا صائمين، فإنه لم يسمع قط عن رسول حارب الأخيار؛ بل إن الحرب تكون للأشرار.

وهناك شخص آخر أود الحديث عنه واسمه لا يحمل أي معنى من معاني الاحترام أو التقدير إنه رجل مشهور، رجل الخيم الذي قال عنه أحد الكتاب: "خيم أرض مدين سوف ترتجف هذه الخيم التي كانت مغطاه بالجلد؟"

لقد كنت في نزاع ديني مع نفسي مؤخراً، فأنا دائما هناك حيث كان هناك أحد يطلب

أن يسود الإحسان بالحرب لا بالتفاهم والإقناع، رجل عجوز تعجب الجميع منه وتساءلوا ما الذي دعاه لهذا؟ وقد أجاب في النهاية "إما الدين وإما الموت"، فضحك البعض، وعلى الرغم من هذا لم يعارضه إلا القليل، وانقطع النقاش، ثم قال "إن الداعرات لا يعانين في حياتهن، بل إن رجال الدين هم الذين يلاقون كل أنواع المعاناة"، وهنا احترم الكل ذكاء الرجل، ولذا خضعوا لرأيه الأول، ولم يخطر على بالهم أن القانون لا يجرم السحرة الذين حذر المسيح منهم.

لقد ذكرتهم بسرعة، حيث إن أي موسوعة لا تستطيع أن تغطي ذكرهم، وعليك أن تعرف أنه إذا سمح لك بحرية كبيرة ربما أنك ستعفيني أنا أيضاً، إذا لم أقتبس كل شيء بالضبط كما يجب، ولهذا أعدك بأنك بكامل إرادتك تقول إنه يعاني من حماقتي، وثانياً "خذني كأحمق"، وأقولها وكأنها حماقة، وفي مقام آخر "إنّا حمقى من أجل المسيح"، لقد عرفت كم أن الكتاب يمدحون الحماقة، فهم ينظرون إليها كشيء مهم ومربح، "إذا قال أحدكم أنه حكيم فدعه يكون أحمق لذا ربما سيصبح حكيم".

ولكن لماذا أنا حريص دون غرض إلا أن

أثبت هدفي بأساليب متعددة وشواهد مختلفة؟ ويؤكد هذا قول المسيح لله "إنك تعلم حماقتي"، لذا فهذا دليل على ان الله يقبل الحمقى، والسبب أنه كما أن الأمراء يراقبون الحكماء وبالتالي يكرهوهم، ومن جهة أخرى حين يتقرب إليهم الحمقى يحبونهم وبالمثل،

إن المسيح يثق بالحكماء، ويثق بحكمتهم، ويؤكد هذا الكاتب الذي يقول: "إن الله اختار الأشياء الحمقى من هذا العالم"، وكأنه يعلم أن الحكمة لا تستطيع إصلاحها، ولذا يقول على لسان رسله "سأدمر حكمة الحكماء".

وثانياً: عما يشكر المسيح الله على إزالة غموض الحكمة، بأن جعل الإنسان يولد بهما، ولكن الأطفال حمقى، وكما تقول اليونانية "الحماقة في الأطفال"، ويخالفهم الحكماء. إن الحكماء يسعدون بوجود الأطفال والنساء، هؤلاء هم أساس الحماقة، فإن الحماقة لو تمثلت لن تتمثل إلا في الأطفال والنساء.

إن أرسطو يقول: "حماقة الخرفان"، والحقيقة أن الخرفان لا يمثلون الحماقة، ولكنه أراد أن يشير لرجل بلا عقل، ومن هذا كله تجد أن

البشر كلهم حمقى.

إن المسيح هو أبو الحكمة، ولكن لكونه بشراً، فإن في بعض أفعاله قد تظهر الحماقة، ولأنه بشر فقد يخطئ، ولكن الله أوحى إليه ما يجعله يتجنب هذه الحماقة، أو أي ذنب بلغ قومه.

إنهم يحتاجون للحكمة ولكنهم أحياناً قد لا يجدون تلك الحكمة، وكأن الله طلب من البشر ألا يأكلون شجرة المعرفة، لأن الوصول إلى الحقيقة يحجب السعادة أحياناً.

وربما أنه لا يجب علينا حذف هذا الجدال، وهو أن الحماقة دائماً ما تعترف بأخطائها، أما الحكمة فلا، والحماقة تطلب المغفرة والسماح والحكمة لا.

إن الرهبان يعذرون الحمقى، فأنا أخطئ لكن الكتاب لا يخطئون "إني أسألك ربي أن تجنبني الخطيئة ولا تعاقبنا على الحماقات التي ارتكبناها"، هذا ما قاله أحد القديسين وآخر يقول: "يا الله أعف عن ذنوبي فلقد ارتكبت بعض الحماقات"، وكأن الله يعلم أننا كنا سنرتكب بعض الحماقات لا محالة، لذا جعل فينا الحماقة والجهل.

وأوضح مثال على هذا عندما دعا المسيح لأعدائه "اللهم اغفر لهم"، ولم يذكر لهم عذر

إلا قوله "ربي إنهم لا يعلمون ما الذي يفعلونه"، ويوضح هذا أيضاً دعاء أحد المستغفرين "اللهم أغفر لي ما صنعت في شبابي وجهلي"، أترى لقد ذكر الشباب وهو أحد أهم أعواني، والجهل وهو أفضل صديق لي.

ولن أستمر في هذا فهو أمر لا ينتهي، بإختصار، إن كل المسيحيين يبدون وكأنهم لهم نوع من أنواع الحماقة، كحليف لهم، ولا يحترمون الحكمة.

إن الأطفال والنساء والكبار والحمقى يسعدون بالدين والتدين، وهذا ما يفعلونهم بطبيعتهم.

وفي المقام الثاني سنجد أنهم أول المكتشفين للحماقة بصراحة، وأنهم أعداء التعليم.

وأخيراً، ألا يبدو أنه يوجد نوع من الحماقة لم يذكره الدين المسيحي؟ والآن هل أرتديت ملابس الأسد من قبل؟ سأريك أن هذا نبع سعادة المسيحيين، إنها لا شيء سوى مزيج من الجنون والحماقة، وإن كلامي هذا لا يهاجم أحد سوى تقديم رأي.

وأولاً: إن المسيحيين وأتباع "بلاتوا" يوافقون على هذا الرأي، وهو أن الروح

محبوسة في الجسد، لذا فلا تستطيع أن تتحرر أو تستمتع بالأشياء كما هي، ولهذا فإن سيدها يفسر الفلسفة بأنها إيحاءات الموت لأنها تأخذ العقل بعيداً عن الأشياء المرئية والملموسة، ولهذا فطالما أن الروح تستخدم أعضاء الجسد بهذا الأسلوب السليم فعلينا أن نقول أنها في حالة جيدة، ولكن حين تفشل فهنا الخسران، أي أنها تكون تحررت من السجن الذي بداخلها، إنهم يسمون هذا جنوناً ولكننا رأينا نوعاً من الرجال هكذا.

إنهم يفهمون كل شيء يقرأونه، ويفهمون لغات مختلفة على الرغم من أنهم لم يتعلموا قط، ويبدو أنهم لهم عقول ذكية، وكأن عقولهم تحررت من أجسادهم مثلما يحدث للإنسان عند الموت، وإن كان هذا يحدث بدافع ديني، فربما يحدث بغرض آخر، ربما أن الكثير لا يؤمن بهذا، فعندما تسافر الروح يخبرك الشخص بأشياء وأوهام، تجد تلك الأشياء صحيحة، وهنا تضحك الناس عليه، وعلى الرغم من هذا فهناك أناس يقومون بهذا جيدا، ويعلمون أنه لا يوجد مستحيل

وأخيراً، يجب أن نترك التصديق للروح لأن الناس لم يروا ما رأته، أما من يؤمن

بهذا الأمر فهو يعلم أن الله هو المسيطر على كل شيء، ويستطيع أن يغير طبيعة الأشياء، لذا فإن هذا الأمر غير مستحيل.

وهناك أيضاً أشياء متعددة، ولكل أمر درجات مختلفة، وهكذا يكمن الاختلاف. أولاً: بالنسبة للحواس على الرغم من أنهم كلهم متصلون بالجسد كالبصر، والسمع، والتذوق، والشم، واللمس، إلا أن بعضهم لا يتعلق بالجسد كالذاكرة، والذكاء، والإرادة، ولذا فإن العقل هو الذي يتحكم فيهم.

وربما بسبب كثرة ثنايا العقل التي تقل عند البعض، وبالتالي تقل هذه النعم، وعلى العكس فقد تكون هذه النعمة تامة عند آخرين. وعلى الرغم من هذا فإن بعض الأذكياء يشربون الزيت بدل الخمر. وعلى الرغم من تأثير العقل إلا أن البشر مختلفين في الرغبات، والحجم، والنوم، والغرور، والغضب، والعداء.

وهناك أشياء تساوى فيها كل الناس كحب الأطفال، والأصدقاء، والشركاء فمن أين يأتي هذا سوى من الجسد؟ ولكننا نرجع هذا لله، ولكن إذا كان الرجال والنساء الحكماء يعرفون الصواب ولا يفعلونه، ويقولون لا نريد شيئاً.

وبنفس القواعد هل يفسرون كل شيء آخر؟ فلا يعطون للأشياء المرئية حساب أكبر من الأشياء التي لا يمكن رؤيتها، إنهم يقولون إن في الأديان الأخرى واجبات الروح كواجبات الجسد، فكما أن في الصيام لا يكتفي الإنسان بالحرمان الجسدي من الطعام والشراب بل يجب أن تصوم الروح فلا يغضب ولا يتأثر.

إذا فرضت أن "بلاتوا" قد فكر في نوع من الجنون يدعى جنون الأحباء، إنها أكثر الحالات سعادة، إن المحب لا تعيش روحه في جسده؛ بل في الأشياء التي يحبها، وكلما تنقلت في هذه الأشياء كلما زادت سعادته، وعندما يحاول العقل أن يسيطر على الجسد يفشل وهنا نلقبه بالجنون.

وعلى الرغم من أن الكثير يرى الحب شيئاً مرغوباً إلا أنهم يطالبون المحب بأن يعود لعقله، ورشده، ثم يقولون "لقد عاد لعقله"، وإلى جانب أن حبه حقيقي إلا أن سعادته جنون.

فما هي الحياة الآخرة وإلى متى سيظل هذا الجسد يتنفس؟ إن الروح ستتحرر كما تتحرر الأرض من المستعمر، ولن يحدث هذا إلا لتذهب للآخرة، وهنا ستتحرر

الروح في أقصى قوتها، لذا فإن الإنسان حين تتحرر روحه يكون في سعادة بالغة وهذه السعادة بسبب أن الروح تلاقي من تحب، وما يزيد هذه السعادة هي كثرة التأمل، وهنا ستشعر أن سعادة العالم كله اجتمعت معاً، فكلما كانت الأشياء غير مرئية كلما كانت تسعد أكثر من الأشياء المرئية، وكلما كانت تتعلق بالروح كلما زادت سعادتك، وكما قال الرسول "إن العين لا ترى وإن الأذن لاتسمع ولا يعرف أحد كيف أن قلب الإنسان يحب الله؟ وهذا أفضل ما في الحياة".

ولهذا إنهم يشعرون بها، وقليل لا يشعر بتلك السعادة لدرجة تجعلهم يقولون كلمات غريبة غير موجودة باللغة، ويصدرون أصواتاً عجيبة لا يفهمها أحد، يبكون ثم يضحكون، إنهم لا يعرفون أين كانوا، أو كانوا يشعرون بجسدهم، أم لا، ولا يعرفون ما سمعوا، ولا ما رأوا، ولا ما فعلوا، ولا ما قالوا، ولا يشعرون إلا أنهم كانوا يحلمون، وهذه منتهى السعادة وحينما يكونون خارج عقولهم بلا حكمة يأسفون، ويندمون حين يعودون لعقلهم ولا يرغبون في شيء سوى الجنون.

لقد نسيت نفسي وكسرت كل الحدود،

وربما أني قلت أشياء لا يجب قولها بهذا الأسلوب، ولكن يجب أن أكون سعيدة، وعليك أن تعتبرني لست امرأة حمقاء فقط، بل كما يقول المثل اليوناني: "أحياناً يقول الحمقى كلمات في محلها"، وربما أنك تكون مخطئ إن ظننت أني قد أتذكر كلمة مما قلتها، وكما يقال: "إني أكره من يتذكر ما يفعل"، وفي الختام أقول لك صفق لنفسك، عش، وحب، واستمتع بحياتك.